زهرة رنيم

رواية

تأليف: بيران

زهــرة رنــيم

كتاب: زهرة رنيم

المؤلف: بـيران

النوع: رواية

تصميم الغلاف: يوسف حدراوي

كل الحقوق محفوظة لدار لنا للنشر

Lanaeditions1@gmail.com

الايداع القانوني: جانفي 2020

ISBN

978-9931-743-10-1

بيـــران

زهـــرة رنـــيم

إلى علاء وابنته زهرة رنيم

روايـــة

ـ لقد عقدت اتفاقا مع زهرتي المفضلة على أن لا تنبت سوى عند من هم أهل صدق وأمانة، فلا يكذبون أبدا ولا يخونون.

هذا ما نطقت به رنيم في ربيعها العاشر وهي تنتج زهرة فريدة من نوعها، زهرة لم يسبق لها أن نبتت في أي مكان، هنا حيث حديقة رنيم أطلت الزهرة بروعتها وقد سبقها عطرها الفوّاح.

بادئ الأمر استغربت رنيم شكلها وإن كانت تقرأ الكثير عن الأزهار والورود وكل أنواعها، بيد أن هذا النوع لم يسبق لها أن لمحته في أي مكان ولا في أي كتاب.

يمّمت رنيم صوب جدتها فاطمة في أحد أحياء أولاد يعيش الراقية، هناك حيث دأب سكانه على زرع الأزهار والورود

والاهتمام بها طوال السنة؛ بما فيهم الجدة فاطمة التي كانت خبيرة أزهار وورود.

ارتشفت رنيم من جدتها فاطمة عشق كتب الأزهار والورود وكيفية الاعتناء بهذه الأخيرة لتحيا لزمن أطول ولتستمتع بجمالها بشكل أوفر.

. جدتي الحبيبة.. ها أنا أطل عليك هذا الصباح بقبلاتي.

أغرقت رنيم خدّي جدتها بالقبل.

أسكنتها الجدة حضنها وهي تمسح على شعرها البرتقالي حيث تقف في الشرفة، تاركة الملابس المبللة وقد انشغلت عنها بفرحة قدوم رنيم المفاجئ.

لم يسبق لأحد أن رأى مثيلا لشعر رنيم، شعر برتقالي، لم يكن غريبا بل أخّاذا سالبا للعقول، ممّا جعلها تتميز به دونا عن كل الصبايا.

.كيف حال أزهارك ووروودك يا حبيبتي؟

. كل تلك القبل منهم، ألم تستشعري عطورهم الزكية؟

. استشعرت عطر أنفاسك قبل وصولك.

. ألأنفاسي عطر؟

. لكل خلية فيك عطر خاص، لذا ستتميزين عن كل من هم في سنك.

. بماذا مثلا؟

تبتسم الجدة فاطمة فتعجّل رنيم بالتعليق:

. لا تقولي إنني سأتميز بشعري، فقد اعتدت على ذلك.

تضحك الجدة فاطمة وهي تمسح على شعر رنيم البرتقالي:

. هاهاها صحيح، إنه يبديك كالأميرات.

. أعلم.

تستوي رنيم واقفة وهي تلاعب خصلات شعرها الناعم الطويل البرتقالي.

. ستتميزين بشيء ما وشعرك سيكون سرّك.

. كيف؟!

. لا أعلم، مجرد حدس.

عانقت رنيم مجددا جدتها فاطمة بحبور:

. أحبك يا جدتي.

. وأنا أيضا أحبك، كما أحب زياراتك المفاجئة، فلم أتوقع قدومك اليوم لولا تلك الرائحة التي سبقتك.

. أمم... الصراحة يا جدتي لم أكن أنوي زيارتك في نهاري هذا، بل بعد يومين رفقة أبي وأمي، بيد أن حدثا هاما دفعني للإسراع.

. وفيم العجلة؟

توشوش رنيم لجدتها خبرا عن زهرتها السرية التي نبتت في حديقتها وقد أبهرتها وحيّرتها في آن.

. أممم.. فعلا خبر عاجل وسار.

أطرقت الجدة فاطمة مفكرة من ثم نظرت إلى رنيم:

. ما رأيك أنت؟

. حدث غريب يا جدتي.

ـ أعلى يقين أنت من أنها تبدو فعلا جديدة وفريدة؟ ربما لها أخوات ولم يمر عليك هذا النوع من قبل فحسب.

ـ لا أعتقد، فقد التهمت كل كتبك عن الأزهار والورود، بل وابتعت غيرها لاعتقادي أنها تحوي جديدا، تاليا تيقنت أن ما تكنزينه من كتب يجمع كل الأنواع المنتشرة في العالم.

. أواثقة أنت؟

. جدا.

من ثم ابتسمت الجدة وهي تدقق التحديق في رنيم:

ـ أليست حيلة منك لجرّي إلى بيتكم كوني لم أزركم منذ عهد سحيق؟

ـ هاهاها.. جدتي لست ممن يفعل ذلك، فقد سقيتني الصدق والأمانة، فما كنت لأحمل لك خبرا غير صادق وقد ائتمنتني على كل كلمة أنطق بها أمامك.

. ألم يكن الأولى التقاط صورة لها بموبايلك؟

. هذا ما فعلت، بيد أن الغريب أن لا ظل لها.

. كيف عرفت؟

. ما دمت كلما التقطت لها صورة لا تظهر على الشاشة؛ إذا فلا ظل لها.

. أممم.. لا أتمنى أن تكون زهرة سحرية.

. أهاااا.. حقا؟

. نعم، فهذه الأزهار لا تستميلني.

. إذا ربما لم أحسن التقاط الصورة بالموبايل.

صمتت الجدة كأنما ابتلعت لسانها إلى أن هزّتها رنيم:

. جدتي.

. نعم؟

. ما بك؟

. لا شيء.. أفكر فحسب.

دخلت الجدة فاطمة إلى المطبخ وأخذت كرسيا لتستريح عليه فتبعتها رنيم:

ـ يخيفني صمتك، هل هي سحرية؟ هل ستؤذينا؟ هل أقطفها وأدعها تموت خفافا؟

. ليس قبل معاينتي لها.

. هيييه. – نطت رنيم طربا–

. إذن هيا بنا.

. ليس الآن.

. لم؟

. أولا لم أستأذن جدك، ثانيا لم أحضّر له غداءه بعد.

. هي فرصة ليرافقنا يا جدتي.

ـ اسمعي.. أجري بحثك على الشبكة العنكبوتية إلى أن أتمّ تحضير غداء جدك، عقب ذلك يكون قد وصل فنستأذن منه أو ربما يقبل مرافقتنا.. هيّا دعيني أنهي ما لدي لأتمكن من اصطحابك.

ـ لا حاجة لي إلى الشبكة العنكبوتية، عشقت الكتب من عِرقك.

تضحك الجدة فاطمة دون تعليق:

ـ هاهاها..

ـ العِرقُ دسّاس.

نظرت رنيم بلؤم إلى جدتها فعلّقت الجدة فاطمة:

ـ اه منك.. إذن تعالي لمساعدتي في التحضير لكن دون الإطناب في الأسئلة فعلي التركيز مع الأكلة.

ـ هاهاها.. حاضر سأربط لساني قدر استطاعتي، أنا حفيدتك الهادئة المطيعة.

ـ جميل، هيا بنا.

السؤال الأبدي الذي كان يراود رنيم هو: كم زهرة خلقت على هذه الأرض؟ لطالما كررت ذلك على مسامع الجدة فاطمة والتي على الدوام كانت تجيبها:

ـ ما أحسبني عارفة بالعدد، فقد أمضيت عمرا أبحث في مجال الأزهار وكل أنواعها بما في ذلك الورود، بيد أن الرقعة تتسع كلما انطلقت ببحثي، فأعزم على تركه دون أن أغفل عن توثيق كل ما مر علي. نتاج تلك السنون دونته في كتاب من أربعة أجزاء، كل جزء يتفرع إلى عدة فروع وكل فرع يحوز على عدة فصول.

حينها تفتح رنيم فاها:

ـ إنها أربعة مجلدات ضخمة يا جدتي!

أربع مجلدات ضخمة، غير أن الجدة فاطمة ما تزال تجهل الوافر من الأنواع.

حنت السماء فطرقت الأسقف وقد غطت على كل الأصوات، توقعت رنيم أن الجدة فاطمة لن تغادر البيت في هكذا تغير للطقس، لم تُسفر الجدة فاطمة عن نواياها لانشغالها بالطبخة، فلم يعتد الجد عبد القادر منها سوى أكلا لذيذا مستويا كما يجب.

لوهلة تغيرت الأجواء بشمس طاغية، حينئذ أطفأت الجدة فاطمة النار عن الطبخة لتغادر المطبخ.

عقب الظهيرة رافقت الجدة فاطمة حفيدتها رنيم لتتعرف على هذه الزهرة، فالغريب في زهرة رنيم أنها كانت بلون برتقالي تماما كما كان لون شعر رنيم.

اتسعت عينا الجدة بمجرد أن وقع نظرها على الزهرة:

. يا الهي ما هذه !!؟

انشرحت أسارير رنيم:

. أرأيت؟

دنت الجدة فاطمة:

. أجل، لم يحدث أن رأيت أو قرأت عن زهرة مماثلة يا رنيم، فعلا جميلة وغريبة في آن!

نطت رنيم بحبور:

. إنها زهرتي.. كيف لها ألا تكون جميلة.

عاينت الجدة وجه رنيم معلقة:

. هاهاها.. ها قد نبت لديك غرور مباغت.

. أمازحك يا جدتي، من عشق الأزهار والورود نبت داخلي تواضع تام وصدق وأمانة شديدان.

كانت الجدة فاطمة حينها تعاين الزهرة لكن دون لمسها، فقد خشيت أن تكون مسمومة، دنت منها بحذر وحاولت شم رائحتها.

. سبحان الخالق!

فزادتها رنيم وهي سعيدة:

. يزداد جمالها كلما دنوت منها يا جدة.

لم تحد الجدة فاطمة بناظريها عن الزهرة معلقة:

. سبحان الله، إنّها رائحتك يا رنيم، إنّها فعلا زهرتك!

نطت رنيم مجددا ضاحكة:

. هاهاها.. إذن لنسميها زهرة رنيم.

لكن الجدة فاطمة كانت ما تزال غارقة في تصنيف نوع الزهرة:

. أممم ليست زهرة هزيلة، إنها شبيهة بزهرة الخشخاش.

انزعجت رنيم من تشبيه الجدة فاطمة:

. جدتي.. بل زهرتي أجمل.

امتد تحديق الجدة فاطمة كمن يبحث للزهرة عن شبيه:

ـ شيء من زهرة الخشخاش الأرجيموني.. زهرة في قلب زهرة.

فتعلق رنيم بانزعاج:

. بل أجمل.

تهز الجدة فاطمة رأسها وهي ما تزال منبهرة بما ترى:

. نعم.

لم تتمكن رنيم من شد انتباه الجدة فاطمة حتى وهي تذكر نوعا آخر من أنواع الأزهار من فصيلة الخشخاش:

ـ المهم يا جدتي ليست شبيهة بالخشخاش المنوم، وإلا لمنعت.

تكتفي الجدة فاطمة برد عفوي وقد استدارت اتجاه رنيم:

. هاها.. كلا، لا ابتلاها الله بالإعدام.

أصاب رنيم الهلع:

. الإعدام؟

. أجل، إن مُنعت فستُعدم.

قالت رنيم بحزن وخوف شديدين:

. إذن سأدعو الله ألا تُشبه أي زهرة ممنوعة فأحرم منها.

فأرادت الجدة فاطمة طمأنتها:

. وسأدعم دعاءك بدعائي.

انتشرت فيما بعد هذه الزهرة في حديقة رنيم، زهرة تنبت في حديقتها دون أن يعلم أحد كيف، سوى أن اسمها زهرة رنيم، لاحقا أخذت منها الجدة فاطمة عينة لتزرعها في حيّها الراقي في أولاد يعيش، حيث تبعثرت في كل مكان، عُرف لاحقا الحي بحي زهرة رنيم، إذ يعد اليوم هذا الحي من الأحياء التي تجذب أكبر عدد من السياح القادمة خصيصا لأجل هذه الزهرة؛ التي مهما حمل منها البعض لزرعها في أحيائهم أو في بيوتهم لم تكن لتنبت سوى لدى فئة قليلة منهم، لم يكن لأحد أن يعرف سرها سوى رنيم وجدتها فاطمة.

تمّ فتح مشتلة خاصة لهذه الزهرة، أسست بالقرب من الحي، فقد غَزُر طلابها لغرسها في حدائقهم.

الزهرة البرتقالية الشبيهة بصاحبتها ذات الشعر البرتقالي، الزهرة المتميزة بعطرها الشبيه بعطر رنيم. فعلا كانت من غرائب العالم!

تعاقبت السنوات بينما زهرة رنيم ما تزال تعد من غرائب الدنيا المحببة إلى كل نفس التقت بها، تناقلت أخبارها الألسن مثلما تناقلتها القلوب الصادقة والأمينة، بهذا الانتشار الواسع عبر العالم تعرّف عليها علاء بينما كانت زوجته نسيمة تحمل طفلتهما الأولى في أحشائها، إثر ولادتها أسماها رنيم.

مرّ أزيد من خمسين سنة على رحيل رنيم وجدتها فاطمة من هذه الدنيا، تغير نمط الحياة كما تغير الناس ولم تتغير زهرة رنيم الوفية للقلوب الصادقة الأمينة.

في تلك المدينة ذات البنايات الشاهقة، ترعرع علاء عاشقا للورود والأزهار والعناية بها في حديقته، تماما كما انتهجت رنيم ابنته نهجه.

لمدينة علاء ورنيم حاكم مهووس بزيارة كل غرائب العالم وكل ما يغزر الحديث عنه، تماما كما هو حال باقي حكام العالم.

حشد الحاكم أعضاء المجلس من حوله ليعرض عليهم فكرته التي ستدر عليه وعلى عالمه الحاكم له أموالا طائلة:

ـ لم يتبق إنسان واحد على وجه الأرض لم يبلغ مسمعه قصة تلك الزهرة.

سأل رئيس أعضاء المجلس:

ـ أتعني زهرة رنيم يا مولاي؟

ـ أجل. وابتسم الحاكم عقب ذلك.

علق أحد أعضاء المجلس:

ـ نحن نصغي لكل ما تعرضه علينا يا مولاي لننفذه، وإن غاب عن ذهنكم (وجل من لا يسهو) أي أمر لفتنا انتباهكم إليه.

ـ جميل.

قال ذلك الحاكم وهو يقف ذارعا قاعة الاجتماع، لم تكن الفرحة تمكنه من الثبات في مكان، فقد انبهر بخبر الزهرة مثلما هو الحال بالفكرة التي سيعرضها عليهم.

جلس علاء إلى طاولة الغداء رفقة زوجته نسيمة وابنته رنيم:

ـ كيف حال زهرتك المميزة يا رنيم؟

ضحكت عيناها وقد تملكتها غبطة عارمة:

ـ أسقيها حبا وحنانا كل يوم يا أبي.

ـ أعتذر أنني لم أعد أرافقك إلى الحديقة أثناء ذلك فأنت تعلمين إجهادي في عملي.

. نعم يا أبي.

قالت رنيم ذلك وهي تقف متوجهة إلى نافذة المطبخ المطلة على الحديقة:

. إنها الحب العظيم.

ضحكت نسيمة:

ـ بل والصداقة الحقة، فقد نمت بين الرنيمتين ألفة لا توصف وتعلقا ملفتا للانتباه.

قهقه علاء:

. إذن فقد تغلبت زهرة رنيم عليك وسلبتك رنيم ابنتك.

. بل وحتى عليك.

تدنو رنيم من علاء محيطة ذراعها الصغير بكتفه:

. بل قربتني منكما أكثر، هذه الزهرة لا تبعث سوى الحب والتآخي والتضامن وكل صفة محمودة في الدنيا.

قالت نسيمة وهي تضع سبابتها على شفتيها:

ـ هس.. فقد يصيبك الشيطان بالعين.

قهقه علاء مجددا:

ـ صحيح، دعني هذا السر مخفيا عن مسامع الناس لئلا تحسدي عليه.

قربت نسيمة الطبق لرنيم:

ـ ما كان عليك الإتيان على ذكر زهرة رنيم؛ لأن ذلك سيجعلها تترك مأكلها ومشربها للحديث عنها فحسب.

عاودت رنيم الجلوس:

ـ ها أنا ذي أعاود الجلوس يا أمي، لكنني وددت أن أشعر أبي بمدى روعة هديته التي لا مثيل لها، فلم يحدث أن همت حبا بزهرة كهذه الزهرة. يا لها من فريدة...

قال علاء:

ـ صحيح أنا الآخر كلما شممت رائحتها وجالستها ازددت نشاطا وحبا للخير.

. أرأيت يا أمي، حتى أبي هام حبا بها، وما أحسبك سوى عاشقة لها أنت الأخرى.

ضحكت نسيمة معترفة:

ـ صحيح فعنايتي بها كبيرة، لكن يبقى الحظ الأوفر لك ولوالدك.

كان اللقاء ما يزال قائما في قاعة الاجتماع بين الحاكم وأعضاء مجلس الشورى:

ـ مولاي، إن هذه الزهرة ترد الروح للرائي، فما بالك بمن امتلكها.

فقاطعه الحاكم بصوته المدوي:

. وما بالكم بمن خصص لها متحفا.

نطق الحاكم بكلمته تلك مترقبا ردود فعل الحضور، ولم يفقه أي منهم مغزى ذلك، بيد أن اقتراحات الحاكم عليها

أن تكون على الدوام مفاجئة ومبهرة، باعثة على الدهشة والمدح، فسارع كل عضو من أعضاء المجلس بالقول:

. يا الهي، يا لها من فكرة مدهشة!

. بل فكرة مفاجئة!

. بل قولوا غير متوقعة، فمن منا خطر على باله أمر مماثل؟ طبعا لا أحد، عدا حاكمنا الأخّاذ بأفكاره.

حينها لم تكن ملامح الحاكم سوى ملامح المتعثر في كلمة سرّ لفتح مغارة كنز علي بابا أو خاتم سليمان، من يخطر على باله ما يخطر على بال الحاكم؟ لا أحد.

ـ مولاي كلنا آذان صاغية لتفاصيل هذا المتحف الذي لا شك في أنه سيكون الأول من نوعه في العالم.

ارتفعت كتفا الحاكم وانتفخت وجنتاه زهوا، حينها فحسب أمكنه الجلوس:

. هذا المتحف لن يكون لأجلي بل لأجلكم جميعا.. لأجل شعبي المطيع.

. بارك الله فيك يا مولاي.

. فعلا إنه لمن أخلاق العظماء كرمكم يا مولاي.

. صحيح.. صحيح.

. سنسميه متحف زهرة رنيم.

. رائع!

. جميل!

. اسم أحّاذ!

. بل هو اسم بسيط وقوته في بساطته!

ـ شكرا لكم، لست أطلب مدحا، بل متابعة للموضوع لأجل التحضير للأمر، فقد عزمت السفر إلى حي أولاد يعيش لأحضر زهرة رنيم بنفسي في وفد ملكي، زهرة أسكنها حديقتي.

هلّل الجميع:

ـ الله الله.. فعلا فكرة من ألماس!

أشار الحاكم بيده كمن يطلب منهم الهدوء للاستمرار في عرض فكرته:

ـ أرغب في أن يكون يوم انطلاقتي يوما تحشدون فيه كل وسائل الإعلام، بكل أنواعها؛ المعروفة منها وغير المشهورة، أريد الجميع على مشارف المدينة مشيعين لي وللوفد المرافق، فهذا في حد ذاته إعلام سيشد الزوار من كل أقطار العالم ويؤجج فضولهم مترقبين يوم عودتي برفقتها، حينها سيكون المتحف قد أقيم من تلقاء نفسه.

وقف أحدهم صارخا بأعلى صوته:

ـ الله الله.. لهذا ولينالك أمورنا يا مولاي، لعمري إنها درر تتقاطر من لسانك!

قال رئيس أعضاء المجلس:

ـ لقد أحببت الفكرة يا مولاي، لكن زدنا من فضلك وما نحن سوى أتباع منفذين لأوامرك السديدة

قال الحاكم بحبور:

ـ ما دامت الفكرة قد راقت لكم، فسأزيدكم مما اكتنزه فكري، سنجعل من يوم انطلاقتي يوما تاريخيا نحتفل به كل سنة في ذات اليوم وفي ذات الشهر، وفي ذات التوقيت ستقرع الطبول وترفع الشموع التقليدية.

ـ عذرا يا مولاي على مقاطعتك، أتعني الشموع التقليدية تلك التي لا نستعملها سوى في مناسبة عيد العرش؟

ابتسم الحاكم والزهو ما يزال محتشدا في كل قطرة من دمه:

ـ أجل، يكون الاحتفال في الساحة الكبرى حتى يتسنى للجميع الحضور، لا نريد استثناء أحد من شعبنا الطائع، فليفرح معنا وليقاسمنا بهجتنا.

تبادل الحضور الابتسامات بابتهاج:

. والآن دعوني أنهي ما لدي قبل انصرافي لأترككم تتناقشون فيما بينكم حول كيفية التحضير لكل هذا، إنه ليوم عيد!

. تفضل يا مولاي, كلنا آذان صاغية وعقول مطيعة.

ـ عند عودتي سيجتمع أشهر الرسامين لرسم الزهرة المرافقة لي من هناك، وهذا في حد ذاته له دلالة عظمى، أن يتنقل أشهر الرسامين إلى بلادنا بغية رسمها ورسمي رفقتها، سيلتهب الإعلام ليلهب قلوب عامة الناس من كل الأقطار فيزورون مدينتنا في تلك الأيام ليشاركونا الاحتفال، تماما كما هي العادة في زفاف أشهر الأمراء، حينها سنفاجئهم بافتتاح متحف للزهرة بكل أحجامها، واللوحات المرسومة تطلعنا على كل أطوار نموها من أول يوم إلى أن تلد لنا أزهارا أخرى وهكذا... سيكون المتحف كتابا يروي قصتها، بل ربما مستقبلا نأتي برسمات لمنتجتها

الأولى رنيم وجدتها فاطمة لتكون المفاجأة الكبرى، ولكن دعونا نُرجئ ذلك إلى حين.

ـ إنه المتحف التاريخي للزهرة التاريخية.

علق رئيس مجلس الشورى.

ـ إنه كذلك. قال الحاكم.

ـ إذن دعوني أنصرف لأجهز نفسي لرحلتي التاريخية هذه تاركا لكم باقي التفاصيل، واثق أنكم مؤهلون للعناية بها كما يجب.

ـ سمعا وطاعة يا مولاي.

كان الجميع يقف ليعرض ولاءه على الحاكم قبل انصرافه. دقت الطبول ورفعت الأعلام وزفّ وفد الحاكم كزفاف أمير من أمراء العالم، وزعت الحلويات على الأعيان وصفق الشعب ابتهاجا بحاكمه، يا له من حدث بارز سيسجل في التاريخ بخط من ذهب.

زينت المحلات باللون البرتقالي، بل إن المدينة بأسرها كادت أن تتحول إلى اللون البرتقالي.

تحرك موكب الحاكم ببطء شديد، وهتف الشعب:

. يحيا الخير يحيا الخير..

فقد كانت زهرة رنيم بالنسبة إليهم زهرة الخير، بقدومها إلى وطنهم لتقيم في حديقة الحاكم، وليقام لها متحف خاص، لعمري إنه الخير كله.

علت الزغاريد ووزعت الأزهار بأنواعها على حواشي الطريق الذي سلكه الحاكم بعربته، إلى أن بلغ مطار المدينة الكبير، ليستقل طائرة خاصة، لقد تعمد الحاكم أن لا يطير من مطاره الخاص ليجعل السياح يتلهفون لزيارة هذا المطار تحديدا مستقبلا، فيلجون إليه مسافرين من أوطانهم، زائرين أرضه ليلتقطوا صورا تذكارية، هنا في المكان ذاته

الذي طارت منه طائرة الحاكم صوب حي أولاد يعيش؛ هناك حيث قرة العين.

لحظة انسلال الخيوط الأولى للشمس وهي تفرش بساطا على مدينة علاء، تسارع رنيم بإرواء الزهرة التي نمت بشكل سريع لتشرع في التفرع:

. أمي عجّلي، زهرتي ستلد لنا أزهارا أخرى.

أطلت نسيمة برأسها من نافذة المطبخ:

. هنيئا لك ولنا جميعا، استمري بإروائها.

ودت رنيم مقاسمة والدتها لتلك الفرحة لعظمها في نفسها، بينما كانت الأم مشغولة بأمور البيت وتحضير الغداء لاحقا، فاستمرت تردد لوحدها:

. ليتك تحضرين لتشهدي هذا الحدث التاريخي يا أمي.

استمرت في رش الماء على زهرتها وهي تحوم حولها فاحصة البراعم الصغيرة، عدّتها رنيم ثم نادت والدتها مجددا:

. أمي ما أحسبها سوى والدة لنا تسع زهرات أخرى، إنها زهرة ولود.

ضحكت نسيمة وهي تعاود طلتها من النافذة:

. همسّ... دعي الخير ينبت في السر.

خفّ صوت رنيم وهي تقول للزهرة:

. همسّ... لا تخبري أحداكم تحملين في بطنك من أولاد يا زهرتي حتى لا تصابي بالعين، دعي الخير ينبت في السر.

اعتدلت رنيم عازمة الخروج من الحديقة لتنكفئ في حينها وبصوت هامس تدنو من الزهرة:

. سأعلم فقط أبي.

ما كان على مشارف المدينة لم يحرك له علاء ساكنا لانشغاله بعمله، بينما لم يكن بإمكان نسيمة المغادرة رفقة ابنتها مخافة تزاحم الحشود في هكذا احتفالات نادرة تعلو في المدينة.

تحدثت قنوات العالم التلفزيونية والإذاعية عن الحدث التاريخي، كتبت عنه الصحف والمجلات وأرفقته بالصور؛ خروج الحاكم بوفد ملكي ليعود رفقة الأميرة: "زهرة رنيم". استعجل أعضاء المجلس تطبيق وصايا وأوامر الحاكم حرفيا، فلدى عودته سيكون المتحف جاهزا والحديقة مضاءة، لعمري إنه العرس الخيالي!

جددت مصابيح البلاد دون استثناء بل ولأول مرة تنعم بذلك حتى الأزقة والقرى، لقد ألهبت سيرة الزهرة خزينة البلاد وجيوب العباد، لا أحد سيسمح له برمي القاذورات في الطريق، لأن كل طريق سيتحول إلى مأوى للسياح، جدد طلاء كل البنايات وتم تصليح المجاري العامة، منع أصحاب المحلات من عرض بضاعتهم خارج حدود متاجرهم لعدم إزعاج السياح أثناء تجوالهم، وأجبرت كل المتاجر على أن يكون لها واجهة زجاجية مع عقوبة لكل

مخالف لذلك، بل وعلى البائع أن يستتر بمئزر خاص بنوع التجارة التي يمارسها فللجزار المئزر الأبيض وللخضار والفكهاني الرمادي وللصائغ اللون الأخضر...الخ

كان على الكل أن يحترم عمله بلباس موحد يعرف من خلاله. رشت العطور مساء عقب نوم الجميع ليصحو الشعب على روائح زكية تنعش النفوس، فعلى السائح عشق كل ركن في هذا البلد ليعود مرة واثنتين بل والعديد من المرات، حدّث تزفيت كل الطرق بما في ذلك الطرق الضيقة التي قد لا يمر عليها أحد لكن تحسبا لفضول السائح. كيف سيكون أمر الحاكم قبل سفره ذاك، عليه أن يراعى كل شبر في المدينة بما يستحق مراعاة للحس المرهف الذي يتميز به غالبا السائح العاشق لبلد ما.

مساء التحق علاء ببيته:

. عمتما مساء.

نطت رنيم من مكانها لتحضن أباها:

ـ لقد فاتك حدث تاريخي؛ عرس لا يوصف بالكلمات بل بالنظر والإحساس يا أبي.

قهقه علاء وهو يمسح على شعرها الذهبي الناعم:

ـ لست مهتما بما سيحضره الحاكم من هناك، فأميرتنا في حديقتنا، أليس كذلك؟

ضحكت نسيمة بينما ابتسمت رنيم مجيبة بحس الجاد:

ـ بل عن أميرتنا أتحدث.

ـ أهاااا وما ذاك؟

تتلفت رنيم من حولها لتوشوش لأبيها خبرا سارا:

ـ سيولد لأميرتنا عددا كبيرا من الأولاد.

علا حاجبا علاء مسايرة لطفلته:

ـ حقا؟

هزت رنيم رأسها من أعلاه إلى أسفله روحة وجيئة:

ـ إذا فعلا، ضاع مني الحدث التاريخي، ألا يمكنك إمتاع عيني بذلك الآن؟

تحرك رنيم رأسها يمينا وشمالا بالرفض:

. أمم رجاء يا ابنتي، فلم أحظ بفسحة من عملي، أتبخلين علي وأنا الكريم معك على الدوام.

حينئذ استوت رنيم واقفة وهي تمسك بيد أبيها:

ــ تعال.. إياك إحداث أي صوت يا أبي، دع البراعم تستقي راحتها في هذا السكون.

أضاء علاء الحديقة من داخل البيت، خرج رفقة ابنته وهما يسيران على أطراف أقدامهما، بمجرد أن لمح الزهرة من بعيد قالت رنيم:

. هس... لا داعي لإزعاجها بالاقتراب.

همس علاء:

. البراعم فتية وصغيرة علي أن أقترب.

أمسكت رنيم يده مانعة إياه:

ـ كلا، صباحا ستفعل يا أبي، إنها حساسة لأنها في طور النمو.

امتثل علاء لرغبة صغيرته، فهي العارفة بأمور هذه الزهرة أكثر منه.

فتح علاء قبل نومه نافذة غرفته وقد أضاء القمر المدينة.

ـ لقد شممت روائح زكية وأنا في الحديقة، سننام عليها الليلة، هل يزعجك لو تركتها مواربة؟

ردت نسيمة وهي تلجأ إلى فراشها:

ـ إنها الروائح التي يزين بها خدام الحاكم البلاد بأسرها، يقولون إن زهرة رنيم ستجلب عددا مهولا من السياح من كل أرجاء العالم وسينتعش الاقتصاد وتغنى البلاد بأموال وذهب.

. أرأيت كيف أن الإتيان على ذكر زهرة رنيم لوحده كاف لتزهر البلاد، فكيف لو جلبها فعلا الحاكم وزين بها حديقة قصره من ثم كل الأحياء.

. لأول مرة يحسن صنعا، كل هذا لخير الشعب.

ثم أردفت:

. لم قلت لو؟ هل تحسبه غير قادر على جلب الزهرة من ذلك الحي الأسطوري؟

كان علاء قد تمدد على سريره وهو يدير ظهره إلى زوجته عازما النوم:

. للزهرة طقوسها وللحاكم طقوسه.

عمّ الصمت في المدينة فقد كان يوما غريبا وجميلا للجميع. يوم تاريخي سيسجل عيدا في قائمة الأعياد التي اعتادت البلاد الاحتفال بها، ترقب الشعب زيادات في الرواتب

وحوافز إضافية، بل وربما عطلا تضاف للعطل السنوية الأخرى. انشغل الشعب قاطبة باللهو وبالغناء وبالرقص.

لم يكن أي من أعضاء المجلس يهنأ بنومه، فالأيام معدودات والتقصير مخالف لرضا الحاكم.

صباحا توجه علاء إلى زهرة رنيم للتعرف على براعمها في وضح أشعة الشمس التي شرعت تنشرها كالسنابل الصفراء، لم تكن رنيم قد أفاقت بعد لغفوة استرقتها.

دنت نسيمة من علاء معلقة:

. تمنيت لو كانت رنيم هنا، الأكيد أنها كانت ستروي لك الغزير من القصص والأحداث، بل والشروحات عن براعم الزهرة المترقبة.

علت ابتسامة هادئة شفتي علاء:

ـ بل جيد أنها نائمة وإلا تأخرت عن عملي، فهي دارسة لخصائص هذه الزهرة، ولعمري إنها كعالمة أزهار، تروي ما

لا يخطر لنا على بال إذا ما تعلق الأمر بهذه التحفة الفريدة من نوعها.

ـ ليته كان بإمكاننا التقاط صور لهذه البراعم لوثّقنا كل مرحلة تمر بها.

أجابها علاء وهو يهم بالانصراف:

. بل هذا من مميزاتها التي جعلتها زهرة عالمية وتاريخية.

. صحيح، زهرة اللاظل.

كان علاء قد خرج من الحديقة مضيفا:

ـ أخبريها أنني رأيت البراعم وألقيت عليها السلام، وأنها براعم فتية لكنها تبدو قوية، فلتستمر في الاعتناء بها، فربما لاحقا سأزرعها فرادى ليتكاثر عدد الأزهار.

. ستأنس الزهرة بقدوم أولادها ليحيطوا بها.

. ما أحسبها سوى مستأنسة بحضور رنيم الدائم معها.

. صحيح.

كان علاء يمد يده ليغلق باب البيت الخارجي مغادرا إلى عمله:

. رافقتك السلامة. في أمان الله.

فتح رئيس أعضاء المجلس باب مكتبه قائلا لمساعده التابع لخطاه:

ـ وصلنا خبر نزول الحاكم بخير إلى هناك، أزفت الآزفة يا رجل، عجّلوا فالعد العكسي بدأ.

. لقد اهتممنا بكل ما يخص المدينة في ظرف يوم ونصف يا سيدي، من نظافة وطلاء حتى المناطق النائية، العدد الجم من العمال الذين وزعناهم على كل شبر في البلاد ينفذون الأوامر ليقينهم من أن أي تقصير منهم سيحول إلى الحاكم شخصيا ليلقنهم أشد العقاب.

ـ جيد، أكثروا من الزجر والنهر، أكثروا من الترهيب والإفزاع، العامل لن يلتزم إن وجد من يتكل عليه.

. وهو كذلك.

. زهرة تدق لها الطبول وترفع لها الأعلام، يا للمهزلة.. !!

قال الحاجب وهو يجري حساباته على الأرقام الخاصة برصيده في البنك الخارجي.

عمّت بعض الثرثرات خلسة بين الناس:

ـ جيد أن هذا الحاكم يفكر لأول مرة في شعبه، طرق نظيفة ومبان بطلاء بهي، وروائح زكية ينامون ويستيقظون عليها، بل وانتعاش للاقتصاد.

. كل امرئ يفكر في نفسه، لا تتوقع من الحاكم أن يشغل فكره بشعب سلبي لا يقود نفسه.

ـ هكذا أنت لا تقبل قول الحق وتمحيص قرارات الحاكم أبدا.

. أنا أحب الواقع وما يطبق فيه.

ـ معك حق، لم لا ننظف طرقنا وعتبات بيوتنا وحيطان مبانينا ونرش الروائح الزكية عند كل وصيد لمنازلنا ومتاجرنا؟ لماذا لا ننتظم حتى تأتينا الأوامر من الحكام؟

. هذه الزهرة فال خير على كل من دخلت بيته ونبتت فيه، لذا ما أحسبها سوى فألا حسنا سيسكن بلادنا، طوبى لنا بها طوبى لنا.

. رأي سديد وقرار صائب، فليبارك الله خُطا الحاكم.

تباينت الآراء بين متذمر ومستحسن.

. صباح الخير يا أمي.

. صباح الخير يا رنيم.

ـ الأكيد أن أبي غادر إلى عمله، نادرا ما يتناول معي إفطار الصباح.

. نعم، لكنه ترك لك أخبارا سارة.

. أهاااا.. معنى ذلك أنه تعرف على البراعم.

ضحكت نسيمة:

. أجل.

. أثق بآراء أبي وأقواله، لا ينطق عبثا، فماذا قال؟

. قال: البراعم رغم صغرها متينة وصلبة.

اشتعلت عينا رنيم ابتهاجا:

. الحمد لله، تلهفت لرأي أبي، هو العارف أكثر مني بأنواع النباتات وأحوالها.

زار هذا الحاكم الحي الراقي لأولاد يعيش منبهرا بتلك الأزهار البرتقالية التي تفوح عطرا خاصا وأخّاذا.

. يا غلام، توجه إلى المشتلة التي بلغ صيتها مسامعنا وأتني بأجملهن.

تأهب الغلام لمبارحة مكانه:

. أمرك يا مولاي.

فأتبعه الحاكم بالقول:

. أتعلم عن أي زهرة كلامي؟

حينئذ توقف الغلام ليجيبه:

. بالطبع يا مولاي.. إنها زهرة رنيم.

ابتسم الحاكم مسرورا:

. أحسنت.

من ثم أردف:

ـ عجّل، فبي رغبة جامحة لرؤيتها تتناثر في حديقتي مثلما هو حالها هنا في هذا الحي الراقي.

همس الحاكم لنفسه:

ـ سأجعل من حديقة قصري حي أولاد يعيش آخر؛ تتهافت القلوب إليه طوال فصول السنة.

كيف للغلام أن لا يعلم عن أي زهرة يتحدث حاكمه وهو الذي شهد معه ذلك التشييع الفخم إلى الطائرة، من ذا الذي لا يعلم دواعي سفر الحاكم، إن كان من خارج

البلاد أو من ساكنيها، بيد أن الحاكم أراد التأكيد أكثر لشغفه المتملك تفكيره مذ ذاك.

تخففت قدما الغلام مثلما أمره حاكمه؛ آيبا بزهرة في طور نموها بلونها البرتقالي، في إناء آجوري أنيق:

ـ مولاي.. بمجرد أن علم البائع أنها لكم دلني على أحلاها.

قطّب الحاكم حاجبيه:

. هل أبلغته رغبتي؟

أجاب الغلام بحبور:

. بلى، يقول أنها ستلد الكثير إن أوليتها الرعاية الجيدة.

رفع الحاكم رأسه بالقول:

. سنفعل.

كان الغلام سيتوجه بها إلى مركبته وهو برفقة مرافقين يحملان الإناء، ليتذكر عائدا:

ـ عذرا يا مولاي، البائع يقول إن الزهرة لن تحيا سوى في بيت قلب صادق وأمين.

صُدم الحاكم فزمجر:

ـ أتشكك في صدق وأمانة حاكمكم؟

ارتعدت أوصال الغلام:

ـ معاذ الله يا مولاي.. أنتم الصدق كله والأمانة، بيد أن البائع الأخرق خشي أن تهديها لشخص ما يخالج قلبه الكذب فيميت الزهرة ويلومك، فقال أعلِم حاكمكم الصادق الأمين لئلا يُحرج مع من قد يطلبها منه، فلم يحدث أن رأى أحد زهرة رنيم إلا وتمناها في حديقته.

تبخر غضب الحاكم وهدأت سريرته وهو يرنو صوب الزهرة مبتسما:

ـ هيّا بنا لئلا يضيق الحال بالزهرة داخل الإناء. بي لهفة لرؤيتها مزهرة في حديقتي.

نساء تزغردن بملئ حناجرهن، تأهب الشعب يرسم فصولا من الأحلام. ترحيبا بالحاكم وزهرته البركة.

لم يمهل الحاكم لنفسه زمنا ليغير ملابس سفره ولا ليتناول غداءه؛ متعجلا لغرس زهرة رنيم في حديقته؛ فهو مشتاق لتلد له أزهارا عديدة تبهج الأنفس وتحيي الأرواح، زهرة تجلب له القلوب والعيون من كل أصقاع العالم.

تحولت زهرة رنيم كائنا ميديائيا، تستهوي نشرات الأخبار، ريشة الرسامين ودواوين الشعراء، بل وحتى ألسنة السياسيين وكتب المؤرخين.

وقف غير بعيد عدد من الرسامين موثقين للحظة الحدث، لم يكن من نصيب الجميع الدخول إلى الحديقة، بل الفئة التي راج عنها جودة عملها، يرسمون حركات الحاكم وهو يستلم الزهرة من الغلام، بعدها يغرسها، ومن ثم يسقيها الخ..

كل المشاهد التي سبقت وتلت غرس الزهرة تم رسمها، كمن يدون تاريخا باذخا عريقا يجب دسه والتزام الحيطة كي لا يضيع.

عقب كل ذلك أبدى الحاكم تعبه من السفر كرغبة منه في الاستراحة قبل بزوغ فجر الغد، ليكون يوما آخر تتم فيه الاحتفالات.

ـ أبي.. أبي.

ركضت رنيم من غرفتها إلى غرفة أبيها صباحا قبل خروجه:

ـ اليوم تقطف أولاد الزهرة لتغرس كما وعدتني، أليس كذلك؟

ابتسم علاء ماسحا بيده على رأسها:

ـ بلى، كنت سأفعل حتى بلغني صوتك.

اقتربت نسيمة معلقة:

ـ تحسبك من الناسين.

. أنا أشد لهفة منك لغرسها والتمتع بتناثرها عبر كل تراب الحديقة، زهرة تسعد ابنتي تسعدني.

ابتسمت رنيم بامتنان:

. أنت أبي المفضل لدي، هيا بنا إذن.

. أجل هيا بنا.

. وأنا ألا حاجة لك بي؟

ضحك علاء ورنيم وهما يسرعان بينما تلحق الأم بهما.

دخل الجميع الحديقة فألقت رنيم التحية:

ـ السلام عليكم يا زهرتي الخلاّبة ويا أولادها، ها هو أبي ينوي تعويدكم على الاعتماد على النفس.

ضحكت نسيمة:

. هاهاها.. تحسنين التعبير.

. زهرة رنيم تجعلني أحسن كل شيء كلما وقفت أمامها.

كان علاء يتحضر لجعل البراعم كما قالت رنيم تعتمد على نفسها، غارسا إياها منفردة عن والدتها.

رتب علاء التراب وقد تم نكشه باحترافية كما هي عادته إذا ما تعلق الأمر بالزراعة والغرس مثلما ورث ذلك عن والده عبد القادر.

في ذلك الصباح الجميل التاريخي لرنيم ولعلاء وزوجته، تلبدت السحب في سماء قصر الحاكم.

راقب الحاكم الزهرة في ذلك الصباح الندي إلى أعقاب اقتراب الغسق بيد أنها شرعت في الذبول إلى أن ماتت.

لم تنبت زهرة رنيم في حديقة الحاكم كما توقع، بل في ذات اليوم عاندت الحياة، وهرولت بالرحيل.

جيد أن الحاكم طلب فسحة من الزمن ليرتاح من عناء السفر، حينها لفظت الزهرة أنفاسها الأخيرة.

ارتعدت أوصاله من هيبة الموقف:

. أفل نجمك يا هذه.. أفل نجمك.

لم يألف الحاكم سوى الرضا والانصياع من الجميع ومن كل شيء. جرّ ذيل الخيبة مهزوز النفس، ضرب في كل صوب وحدب ذارعا كل أركان قصره، ثم انكب في منحدر الندم.

ـ الويل لي إن بلغ العالم مصابي، تصاغرت هيبتي وأفل سلطاني، تبا لشحك يا هذه.. تبا لك من زهرة.

واصل لهاثه نحو مكتبه مترددا في اتخاذ القرار الذي راوده. أمر الحاكم بغلق باب الحديقة مانعا أي زائر أو عامل من الولوج إليها، كأنما هي وباء ما ابتلي به.

. أوصدوا أبواب القصر.. أوصدوا أبواب الحديقة..

تسارع الدبيب في القصر ولا أحد يعلم ما هناك، لقد نام الحاكم بعد أن أمر بصرف الجميع من الحديقة إلى أن يصحو وها هو يدوي بنذيره:

. ما به الحاكم؟

ـ ألم يقل إن على الجميع التأهب ليتم عمل مساء البارحة اليوم صباحا.

ـ لا أعلم، الحشد من الرسامين ومن الفضوليين ومن الساسة خارج باب القصر، يترقبون فتح الباب للولوج حيث زهرة رنيم.

صباح ذلك اليوم كان الحاكم قد أصدر أمرا بإعدامها من الوجود وأن لا تزهر في أي مكان كان، ذاع الخبر في المعمورة لئلا يبقيها أحد لديه قبل وصول الجنود. شرع أتباعه يطبقون تعليماته بحذافيرها، معتقلين ومعدمين كل مخالف غرست لديه فنبتت.

سوء خاتمة لم تكن في الحسبان.

ـ هل ماتت فعلا؟

ـ أجل، الحاكم مغتاظ جدا.

ـ كيف لا وقد أعد العدة وشد الهمة طيلة أسبوع بأكمله.

تهامس الخدم داخل القصر.

الجميع يتفادى لقاء الحاكم دون أن يخذل أوامره.

. تبا لها من زهرة، كيف تجرأت على العصيان؟ قال رئيس الحراس.

. تمهل فمصابها شديد.

أجابه زميله.

ـ نعم لقد أودت هذه الزهرة بنفسها في مستنقع مغلق، ستعشش الفيروسات من حولها ليولد وباؤها ويقضي عليها.

قال الحاجب للجنود:

. ابحثوا عن البؤر التي يتشكل فيها هذا الوباء.

فعلق رئيس الجنود:

ـ عادة تنحصر في الحدائق، حيث يكون التراب الحر المنطلق تحت أشعة الشمس والهواء الإلهي.

حيّر قرار الحاكم كل لبيب.

دنا رئيس أعضاء مجلس الشورى، مهونا وقع المصيبة على نفس الحاكم وقراراته التي قد تودي بهم جميعا:

. مولاي.. ربما ما كان عليها أن تبتعد عن موطن ولادتها، تغربت فماتت فحسب، ولا علاقة لذلك بكونها غرست في حديقتك.

نفض الحاكم رداءه ففهم الرجل أن عليه الكف عن الكلام.

وشوش بقية أعضاء المجلس لبعضهم:

ـ ليس لنا أن نحاول تصحيح خطأ صغير بخطأ أكثر فداحة.

. أتظن استقدام الحاكم للزهرة كان خطأ؟

ـ جمع من الناس استقدموها أثناء زياراتهم إلى هذا الحي دون إحداث تلك الضجة، بينما هو يهول الأمور على الدوام.. دعه يصدر قراره ذاك لننتهي من الأمر.

. نعم، دعه يوزع هفواته.

تصارع الملبّون لقرار الحاكم وتنابحوا في كل صوب وحدب:

. قرار الحاكم حق لا اعتراض عليه.

توغل كعادته في ضعاف النفوس وسفهاء العقول.

القلوب الصادقة الأمينة ممن زرعت زهرة رنيم وفازت بها حاربت دونها مانعة قتلها، فلم يكن حظها سوى أن تلقى حتفها هي الأخرى قبلها.

ـ غرس الحاكم زهرة رنيم، بموتها الصادم له ها هو يزرع بذور الجبن والرخص في أتباعه.

. ستستنزفنا إلى آخر قطرة، اليوم وكسائر الأيام لن نهنأ، ما لنا نحن إن لم تنبت في حديقته.

ـ سيسجل التاريخ ما كان، للأسف المؤرخ لن يكتب الأحزان والآلام.

. بل سيسجلون التاريخ على مقاسهم.

لم يقف أحد على حجم الكوارث من تطبيق ذلك القرار.

استعرت الفوضى والناس تائهة بين ملجم فمه ومطبّق لأوامر الحاكم القسرية، بعينين مغرورقتين نائحا مكلوم القلب، صادّا للجنود بروحه، فمن ذا الذي عاقر حلوها سيقوى على أن ينفصل عنها.

كم أن ذلك قاس، بل ومؤلم لكل قلب صادق وأمين امتلكها؛ كيف له أن يتحمل فراقها والعيش دونها. البطش والتنكيل مآله.

من بين تلك القلوب رنيم التي عشقت تلك الزهرة لأنها كلما نظرت إليها حُلّت كل مشاكلها وعامت نفسها في

سماحة وراحة فريدة من نوعها، الزهرة النعمة.. الزهرة الفأل الحسن.

كانت ستحرم منها لولا أنها فكرت في إخفائها في غرفتها وإروائها خلسة. حمدا لله أنها عثرت على حل يبقيها في حياتها.

بيد أن زهرة رنيم لا تحيا إلا تحت أشعة الشمس... للأسف. هناك أمام الملأ دون مداراة، تلك التي لا تتصنع ولا تجامل لا تنمو ولا تحيا سوى في وضح النهار.

والآن؟ كيف ستُحل؟

سعى علاء والد رنيم لمعاضدة ابنته دون مشاحنة الحاكم. لم يحدث لرنيم أن عاندت والدها أو أتعبته، فقد كانت بطبعها الهادئ والمطيع مصدر حبه، تفوقت رنيم على الدوام في كل مجالات حياتها رغم يفاعة سنها، ففي الرابعة من عمرها قاربت ختم حفظ القرآن بأحكامه، وانطلاقا

من السادسة لم تكن سوى الأولى في المدرسة، وكذا في كل الألعاب الفكرية، التحقت بعدها برياضة الفنون القتالية فكانت من الحائزين على المراتب الأولى دون هوادة.

ما سر كل ذلك؟ ظل هذا السؤال يتكرر على ألسنة كل الناس فكان علاء يجيبهم:

ـ السر في كونها دؤوبة، لا تمل ولا تكل ومطلعة على كل علوم الحياة.

صحيح أنها كذلك، إضافة إلى أن السر الآخر هو زهرة رنيم، الزهرة التي ابتاعها لها علاء من مشتلة حي أولاد يعيش في إحدى زياراته إلى هناك، لتزرعها في حديقة بيتها.

نبتت رنيم أخرى، كلما تمنت ما يبهج قلبها تحققت أمانيها. لم يكن علاء يعلم إلى أن لفتت انتباهه والدتها

نسيمة، مما جعله يراقبها ليتيقن من أنها فعلا تستنشق منها كل الخير.

حينها علم علاء مدى أهمية زهرة رنيم في حياة ابنته، أشار عليها أن تحملها في إناء للزهور وتضعها في الشرفة حتى لا يلمحها أحد، ففي الحديقة قد يبعثر الهواء خبر وجودها فتعاقب من الحاكم وتحرم منها مثلما سيحرم هو من فلذة كبده.

لحظتها كانت رنيم في الحديقة تسقي زهرتها وأولادها، لمحت فراشة مزدانة بألوانها:

ـ أعتقد أنك أضعت طريقك، أم أنك حضرت لتلقي التحية على زهرة رنيم، مباركة لها هذه الذرية الطيبة.

نادت نسيمة ابنتها المنشغلة بالفراشة، فلم تلتقط مسامعها صوت والدتها:

. أتبحثين عن مخرج الحديقة؟ اسلكي هذا الاتجاه.

مشيرة بأصبعها، لتردف عقب ذلك:

. ترى كيف حصلت على تلك الألوان؟ رأيت العديد من الفراشات لكن أنت غير كل ما رأيت، ما أبهاك من فراشة.

كان علاء قد دخل الحديقة، بمجرد أن لمحته رنيم:

. ليتني امتلكت ذلك الجمال الذي لديها.

. بل الجمال كله بين يديك.

قال علاء ذلك وهو يمسك بيد ابنته منصرفا، فانكفأت الفراشة عائدة لتشير إليها رنيم مجددا:

. أنظر كأنها اختارت بعناية ألوانها، بل وكأنها تمرغت وسط علبة من الألوان فأخذ كل لون مكانه المناسب بتنسيق متناه.

. حبيبتي هناك أمر هام علي أن أتحدث فيه معك، لقد نادتك والدتك، لم لم تجيبي؟

. أبهرني جمالها ومدى خفة طيرانها يا أبي.

نشر الحاكم رجاله في كل الشوارع والأزقة، بل في كل حدائق البيوت، مفتشين عمّن يغرس هذه الزهرة المحكوم عليها بالإعدام.

زهرة تحيي القلوب النقية عليها أن تنفى من الوجود لأنها كشفت قلب الحاكم، فعدم إزهارها في حديقته جُرم تعاقب عليه، زهرة رنيم زهرة صادقة لا تجامل ولا تساير، لا تنطق سوى صدقا ولا تتنفس سواه، وإن لم تنبت في بيته معنى ذلك أن الحاكم ليس نقيا ولا نزيها، فضحُ زهرة رنيم لقلب الحاكم أضغن حياته وكدّرها بما فيه الكفاية ليصدر هذا الحكم الجائر.

. ما ذنب هذه الزهرة؟ قالت رنيم

. وما ذنبك؟ ما ذنب كل قلب نقي أن ينعم برفقتها؟ علّق علاء على قول ابنته الحزينة.

ضمّت نسيمة رنيم إلى حضنها بحب مربتة ومخففة عنها مصابها.

. سنجد منفذا حبيبتي فلا تحزني.

لا منفذ لقرار صدر من حاكم يسيطر على ربع العالم، من يجرؤ على مخالفته ومن يقوى على التحايل عليه؟ لا أحد.

لم تتكحل عينا رنيم بالنوم مذاك، كذا علاء الذي تعلق قلبه برنيم منذ ولادتها كإدمانها لهذه الزهرة.

لو لم تكن زهرة رنيم تحيا تحت الشمس والنور الطبيعي لهان الأمر، العويص أنها زهرة تحب الانطلاق والحرية، إن قيدوها داخل إناء أو في غرفة مغلقة ماتت بعد أسبوع واحد.

لم يكن في يد علاء ورنيم سوى أسبوع واحد لإعادة الشمس لزهرة رنيم.

سهر علاء ليله إلى جانب صغيرته مطرقا:

. حبيبتي..

تناثرت ابتسامة على شفتي رنيم:

. نعم يا أبي؟

. أخشى أننا سنخسر زهرة رنيم في ظرف سبعة أيام.

تغيرت نبرة صوت رنيم إلى صوت المتفائل مخففة عن أبيها:

. معاذ الله يا أبي.

فقال علاء كتائه متألم:

. ماذا نفعل؟ كيف علينا التصرف؟

لم تمهله رنيم وقالت معلقة:

ـ ليته كان لدي الجدة فاطمة كرنيم التي تركت لنا هذا الإرث الكنز.

استغرب علاء تذكر رنيم للجدة فاطمة التي غزر الحديث عنها عبر التاريخ، لما كان لها من أثر على حفيدتها رنيم وظهور هذه الزهرة النعمة:

. ماذا كانت ستضيف لك؟

أجابت رنيم بكل براءة:

. تشور علي.

تألم علاء لشعورها بالاحتياج، لم يكن يقوى على إغاثة ابنته بحماية الزهرة التي تمدها بالهمّة والنجاح. إلى أن غفا وهو على السرير بجانب طفلته.

. أبي أبي..

أفاق علاء مفزوعا وهو يشعر بشيء خفيف يهزه وصوت صبية تناديه:

. هاااه.. هاااه.. ماذا هناك؟

. أفق يا أبي، أظنني وجدت حلا لهمّنا.

فرك علاء عينيه الصغيرتين بجفنين منتفخين، فقد كانت عيناه بجفنين منتفخين خلقة، شاب باسق القامة أبيض البشرة، بشعر أشقر ناعم لكنه تحول إلى أصلع فيما بعد، لم تتبق له سوى شعيرات.

لم تمهله ليتم فرك عينيه بصوتها المتفائل:

ـ بدلا من حرمان زهرة رنيم من الشمس وموتها في ظرف أسبوع واحد نجعل الحاكم هو من عليه أن يتغير من كاذب أفاق ومخادع وسارق إلى صادق ونزيه؛ فتنبت في حديقته زهرة رنيم، فننعم بالأمن والأمان كيوم دخلت علينا زهرة رنيم.

عاود علاء معانقة ظهره للفراش خائبا:

ـ بل قولي أن نحول زهرة رنيم إلى مسايرة ومجاملة تهادنه وتقبل بالإزهار في حديقته أقرب للإمكان من أن يتحول الحاكم إلى ذلك الصادق الأمين.

خارت قوى رنيم هي الأخرى وقد تمددت إلى جانب والدها:

. أووووه أحبطتني يا أبي.

لم يحرك علاء ساكنا، وبذات اليأس:

. بل هو الواقع يا صغيرتي.

دنا وجه رنيم من علاء وقد لمعت عيناها، لا تلمع عينا رنيم إلا إن كانت تشع نفسها ثقة بأمر ما، هذا دأبها في كل امتحان مرت به في حياتها وفي كل مسابقة تركت فيها بصمتها المتميزة.

. أبي..

ابتسم علاء، فلم تمهله رنيم فسحة لينطق مجيبا:

. أنت على الدوام تقول إن حاكمنا هو حاكم ربع العالم.

. هذا صحيح.

سألت بابتسامتها الوديعة:

. إذن من هو حاكم بقية العالم؟

استدار علاء ليواجه ملامح ابنته:

ـ بقية العالم ينقسم إلى ثلاثة أرباع، تحت سيطرة ثلاثة حكام.

. أهم أيضا ليسو أهل صدق وأمانة؟

زمّ علاء شفتيه:

. للأسف.. أعتقد نعم، فلم يسبق لنا أن سمعنا عن حاكم صادق وأمين في هذا الزمن.

. لكننا سمعنا عن حاكم أمين في زمن انقضى.

. ذلك في الماضي أما اليوم فلا أعتقد، لم السؤال؟

. أثناء نومك خمنت في من يمكنه التأثير على الحاكم؟ ليس سوى حاكم مثله.

. في حالة وحيدة.

. وهي؟

. أن يكون مستفيدا.

. أمم.. إذن ليس صادقا ولا أمينا.

حرص علاء منذ نعومة أظافر رنيم على أن ينمي وعيها بواقعها، فلا تتعلق بأحلام وأمنيات لا يمكنها بلوغها فتحبط لاحقا، بل إن أشد ما كان يخشى عليها منه صدمة الواقع المرير الذي يتنافى كلية مع هواء زهرة رنيم، ذلك الواقع الذي يتنافى مع الصدق والأمانة، لكنه لم يسع ليجعل من نظرتها سلبية ونفسها دون أمل، فالخير باق ما بقيت الحياة، الباب يبقى مواربا وهو يناقش كل ما في جعبتها على الدوام:

. هات ما عندك يا رنيم، ادلفي قدر ما شئت.

. ماذا لو قصدنا أحدهم.. أعني أقربهم للصدق، فقد يتأثر بكمدنا إن رويناه عليه وينعم علينا بالتدخل للتوسط لدى حاكمنا.

واجهته الساعة الرملية على الطاولة الصغيرة في غرفة رنيم، ساعة أهدتها إياها خالتها يوم اعتلت منصة الفوز بالمرتبة الأولى في لعبة فكرية تعتمد على الزمن، لم يكن الزمن سوى رفيق مخلص لرنيم منذ نشأتها، اعتادت منه على أن لا تفرط فيه ولا توليه أزيد من حقه، تضع النقاط على الحروف بتأن ورصانة، بحكم العادة بسرعة أبهرت خالتها وباقي أفراد عائلتها. صداقتها تلك هي من علمت علاء ونسيمة ترتيب حياتهما بنظام يشبه نظام تلك الساعة الرملية، لم يحدث أن غاب عن ذاكرة رنيم اليوم الذي استلمت فيه تلك الهدية مع امتنان من أفراد عائلتها قاطبة أنها لفتت انتباههم لكيفية تسرب الزمن دون شعور منهم. كانت حبات رمل تلك الساعة تتقاطر بيسر وثبات.. لا تتقدم ولا تتأخر.

ـ غاب عن ذهنك عامل الزمن، كيف لنا زيارة كل هؤلاء في أقل من أسبوع؟

هامت رنيم في صمتها كمن خيّب أملها، من ثم أينعت وقد عاودت الابتسامة شفتيها:

ـ إذن لنتحايل، فنحن في ظرف صعب لا منفذ منه سوى ذلك.

عقد علاء حاجبيه:

ـ كيف؟

فابتسمت رنيم مجددة تفاؤلها:

ـ نراسل الحاكم بثلاث رسائل على أنها من الحكام الثلاث.

استغرب علاء معلقا:

ـ نكذب؟

فتجيبه رنيم بكل ثقة:

ـ بل نتحايل عليه.

أغضن وجه علاء، وقد خالجه إحساس مرير:

ـ بهذا سنفقد زهرة رنيم إلى الأبد، فهي لا تنبت عند كاذب.

كانت رنيم واثقة من اقتراحها، فقد عايشت هذه الزهرة أفضل من والدها بالتالي هي أعلم بخصائصها وما تتجاوب معه أو ما يجعلها تذبل وتتحضر للمغادرة عن عالمها، تماما كما فقهت عنها كل شيء من قبل رنيم الأولى حفيدة الجدة فاطمة، بيد أن علاء أراد الحيطة قدر الإمكان، مخافة فقدانها حيث لا ينفع الندم:

ـ زهرة رنيم لا تنبت عند من خالج قلبه الكذب والشر، بتحايلنا لسنا نبغي الشر.

دون يقين يقول علاء:

ـ لا أعلم.

تمدد علاء على فراش ابنته منهكا وقد اكتنف فكره الغموض، مستندا إلى ذراعيه رفقة تنهيدة خفيفة:

. معك حق.

اشرأب رأس رنيم صوبه:

. في التحايل؟

ـ في أننا فعلا بحاجة إلى الجدة فاطمة؛ لو كانت معنا لأشارت علينا بما يجب القيام به.

لم تكن رنيم ممن يهرول الإحباط إلى نفوسهم، هناك في قاموسها على الدوام الحل البديل:

ـ اسمك علاء يا أبي وهو يذكرني بعلاء الدين والمصباح السحري؛ لكم نحن بحاجة إلى مصباح سحري في هذا الغسق المظلم.

حزّ في نفس علاء أن ابنته استنفدت كل طاقاتها وإمكانياتها حتى أنها تمنت شيئا سحريا؛ شيئا من الخيال لا

يُمت للواقع بصلة؛ شيئا لا وجود له، لا يتمنى المرء شيئا مماثلا إلا في شدة الفقد والعجز.

لم يكن قد تبقى سوى ستة أيام بعدها تموت زهرة رنيم، الزهرة التي تبعث التجدد والنشاط والنجاح في حياة رنيم، بينما جنود الحاكم ما تزال تهيم في الشوارع والأزقة وحدائق البيوت؛ مترصدة كل من تسول له نفسه الاحتفاظ بها.

ماذا لو داهم جنود الحاكم بيتهم الآن واللحظة؟ كيف ستكون ردة فعل رنيم، تلك التي قضت ليلها كله تنقب عن حل لحماية الزهرة والإبقاء عليها وسطهم، ماذا لو وشى بهم أحد الجيران، ماذا لو مسحت طائرة من طائرات الحاكم سماءهم فلمحت الزهرة في الشرفة؟ كان الفزع يتغلغل في كل قطرة دم تجري في عروق علاء كلما تبادرت هذه الأسئلة إلى ذهنه.

الحاكم على علم أن الزهرة لن تحيا لأكثر من سبعة أيام إن أخفيت في مكان مغلق أو بدون شمس أو نور طبيعي، لذا قرر أن لا يتوقف التفتيش إلا بعد عشرة أيام، تحسبا لإمكان إنعاش الزهرة لأيام أخرى على غير العادة وبهذا يكون قد تيقن من إعدامها في تلك الأيام.

فعلا حاكم ماكر بما فيه الكفاية لكي لا تقاوم الزهرة نتانة ذلك وتفارق الدنيا في غضون يوم واحد، كيف لهكذا نقاء أن يناهض وينازل الدنس دون أن يتلطخ فيفنى تسمما.

حراس الحاكم طرقوا كل الأبواب، داست أقدامهم تراب كل الحدائق، رؤوسهم متعلقة بكل عشب أخضر نبت في بيت ما، لم يعد أي أحد من السكان يجرؤ على غرس تلك الزهرة الفريدة من نوعها، ولا الاهتمام بها إن وجدت في بيته، لتذبل عقب ذلك من الإهمال. زهرة أحبت كل

صادق وأحبها كل إنسان. أنوف الجنود غمست في كل ركن ترابي يأوي زهرة رنيم.

أفاقت نسيمة على أذان الفجر، توجهت إلى غرفة رنيم معتقدة أن علاء لم يفق بعد، تناهى إلى سمعها صرير غلق باب المنزل فعلمت أنه خرج إلى صلاته. تنهدت وقد غسل الحزن وجهها، غيلان تأكل بشراهة ونهم سعادتهم، تلك الفرحة التي نبتت بينهم ها هي تتعرض للإعدام، تتلون الغيلان مع كل حدث جديد وسطهم، تبا لها من حياة وتبا له من حاكم.

شُحذت الذاكرة بالمخاوف والتهديد على مر الزمن. كان ذلك اليوم هو يوم الجمعة، فعودة علاء ستكون حتما إلى البيت مباشرة عقب خروجه من المسجد، في حين أن باقي أيام الأسبوع يـيمّم وجهه إلى المشفى الذي يعمل فيه سائقا، من بكرة يومه إلى أن تكاد الشمس أن تغرب.

هناك في تلك الخطبة ربما يكون قد وجد ضالته، فخطيب ذلك الأسبوع أوحى له بفكرة.

شرع علاء في تشييد بناء خارج المدينة خلسة عن أعين الناس، بناء لم يكن يتوجه إليه سوى مساء ولم يتمكن من إتمامه إلا بعد ثلاثة أيام.

ـ لم يعد أبي يقاسمني رغبة إيجاد حل لهمّنا يا أمي.

ـ لعلّ العمل يشغله رغما عنه، تعلمين عمل المستشفيات كيف هو.. لا مواعيد له.

وقفت رنيم:

ـ نعم؛ أعانه الله.

تمسك نسيمة بيدها وهي تمسح عليها بحب:

ـ وأعاننا، لا تشكّي لحظة في أننا لا نشعر بما تشعرين به؛ زهرة رنيم هواء لك وبالتالي هواء لرئتينا.

شردت رنيم بعينين تتحدثان همسا ولسان حالها يقول:

ـ ليتني أعرف كيف تمكنت كتب الجدة فاطمة من أن تجعل رنيم تزرع زهرة فريدة من نوعها، زهرة لونها كلون شعرِها وعطرُها كعطرِها، بل وحتى القلب كان كقلبها، لا تزهر سوى عند صاحب بيت صادق القلب وأمين.

أحاطت نسيمة خصر رنيم بكفيها:

ـ لم الآن؟

استمر شرود رنيم:

ـ لكنت حاولت أن أزرع زهرة مشابهة في الشكل فحسب، لتنبت عند هذا الحاكم الطاغية وتترك لنا الأصل الذي نبغي.

لم تكن نسيمة قد استوعبت ما ترمي إليه رنيم بعد:

ـ تعنين الأصل الذي تستحقين، لو لم يكن المرء صادقا وأمينا ما نبتت في بيته، بل كل أفراد البيت عليهم أن يكونوا أهل صدق وأمانة.

حـدقت رنـيم في عيـني والـدتها وقـد أكلتهـا الدهشـة والابتهاج:

ـ أهاااااا

تعجبت الأم من ردة فعل ابنتها:

ـ ما بك؟

بجبور بائن تتخذ رنيم قرارها المبهم:

ـ إذن سأغرس شيئا آخر في بيت الحاكم؛ يجعله ينشغل تاركا لنا زهرتنا.

سألت الأم ببلادة، فلم يكن هناك ما يُفعل سوى الصبر والدعاء، أن يعثر أحد منهم على حل لتلك المعضلة هو كالماء للزرع العطشان.

ـ ما ذاك؟

حضنت رنيم والدتها:

ـ لن أخبرك إلا عند عودة أبي.

مساء وقد عانقت رنيم حضن والدها باحت له:

. سنزرع الشك في نفسه يا أبي.

كان علاء يسحب كرسيا في غرفة الجلوس ليجلس عليه:

. كيف؟

تحمست رنيم وهي تدنو منه، ما ستفصح به لوالدها بمثابة خلايا تتحضر لتنفجر خارج الكون لشدة استعجالها تطبيق ذلك ولمس نتائجه:

ـ سننشر الخبر الحقيقي الكامل الذي غاب عن بال الحاكم.

كمن تحمس هو الآخر، ثم هدأ:

ـ ما أحسب الحاكم غفل عن أي شيء، الماكر يحسب الأنفاس مرتبا لها قبل إطلاقها.

تبتسم رنيم بثقة:

. بل أحسبه إنسانا قد يغفل.

ابتسم علاء وقد لمس شدة ثقة رنيم فيما تقول، لم تكن طفلته ممن يوصلون له هذا الإحساس سوى في حالة اليقين:

. إذن ما ذاك؟

ـ الزهرة لا تنبت سوى في بيت كل أفراده أهل صدق وأمانة.

لم تكن فكرة رنيم قد بلغت عقل علاء بعد فداوم استغرابه:

. قصر الحاكم يملأه الخدم فليس بالضرورة أنه المعني بالشر أو أحد من عائلته، بل ربما كان أحدا من الخدم لا يعرف مكنونات قلبه.

أشرقت عينا علاء، ها قد بلغه ما تبغي ابنته بينما لسان رنيم يتدفق حديثا:

ـ بالتالي فهذه الزهرة ستجعل من بيته مرتعا للصدق والأمانة، بدلا من أن يعدمها ويغيب معها سر كل عامل لديه في قصره وعقر داره.

.كيف يتم نشرنا للخبر بسرعة فائقة؟ فالزمن غريمنا.

ـ بل الزمن حليفنا إن شاء الله، هيا يا أبي استعجل لقاء الحاكم وتجلّد، إقناعه قد يكون وقد لا يكون.

تذكر علاء الفكرة التي خالجته أثناء خطبة الإمام والتي لم يكن ينوي إعلام ابنته بها، بيد أن عزم رنيم جعله يتباطأ ليستشيرها، فلطالما أبهرته برأيها رغم يفاعتها:

ـ كنت أفكر في زرع عدة أزهار في بيت بلاستيكي خارج المدينة، نحتفظ فيه بعينة من هذه الزهرة إلى أن نجد حلا لمعضلتنا.

. رائع، أنت الآن علاء الدين يا أبي.

. نعم وبيدي المصباح السحري.

ـ على الأقل فكرتي تجعلنا نكسب بعض الوقت إلى أن نقنع الحاكم بأن وجود زهرة رنيم على قيد الحياة وسيلة للتنظيف وليست مضرة تسيء لسمعته مثلما توهم.

ـ لا نقول لحاكم توهمتَ، بل قولي مثلما قد أوحى لك البعض.

. نعم يا أبي مثلما أوحوا له.

. إذن هيا بنا إلى قصر الحاكم.

وقف علاء ورنيم متأهبين للخروج من ثم استوقف علاء سؤال مباغت:

. هل سيستقبلنا؟

فطمأنته رنيم:

. إن رافقتنا زهرة رنيم؛ مخطرين لهم أننا نخفي الوافر منها في كل أرجاء العالم، ولن نبوح بأي شيء إلا إن سمح لنا

بغرسها في حديقة القصر وأنها ستزهر فسيبلغونه على الفور ليعجل هو الآخر بالموافقة.

لوهلة ساور الخوف قلب علاء:

ـ بي خوف عليك يا رنيم، قد يرفض ويتم الزج بنا في السجن. ابقي أنت هنا رفقة والدتك.

أمسكت رنيم بيد والدها مصرة على مرافقته:

ـ كلا بل سيوافق، إنه يتمنى لو أن هذه الزهرة تنبت في حديقته ليتباهى بصدقه وأمانته أمام العالم كله وليس أمام ربعه فحسب.

فعامت مقلتي علاء في الخوف:

ـ أخشى عليك.

تزيد رنيم من ثقته:

ـ ما تهمه هي الزهرة فحسب، لم يبلغ مسامعنا أنه ممن يقتل الأطفال ويُمثل بهم.

تملّك الرعب قلب علاء لأجل ابنته لكنها تغلبت عليه:

ـ استعن بالله، فلدي تأثيري كما تعلم يا أبي، خاصة إن رافقتني هذه الزهرة فقد رافقني الصدق والأمن والأمان.

حنت السماء فطرقت سقفهم وقد غطت على كل الأصوات ليلتهم تلك، قد تكون آخر ليلة لرنيم وعلاء في بيتهما هذا، باتت رنيم تعد عدد القطرات وهي تصغي إليها، مع بزوغ الفجر خرجت رفقة والدها، طغت أشعة الشمس فكانت بالكاد تفتح عينيها، لوهلة وقاها وجهها فشرّعت عيناها.

اليوم العصيب لا بد له من أن يكون في حياة كل إنسان وهذا هو يومهم العصيب.

حملت رنيم الزهرة في وعاء بلاستيكي صغير بلون آجوري، يمّمت رفقة أبيها صوب قصر الحاكم ملتمسين مقابلته.

توقع علاء كان في محله، فبعد شدّ وردّ ورفض الحراس السماح لهما برؤية الحاكم دون موعد مسبق؛ قد يطول الزمان لإدراكه، تذكرت رنيم أن عليها عدم الكذب وتذكرت بناء والدها إن اكتمل دون عثورهم عليه:

. هناك بناء يحوي كمّا من الأزهار المماثلة، لن يعثروا عليها وستنتشر في كل العالم، من هناك ستتسرب إلى العالم الرابع الذي هو عالمنا لتزهر من جديد، مهما أعدمها الحاكم ستعاود الكرة، إلى أن يدرك الحاكم حزن شديد ومنهك يسبب له أزمة قلبية، بل وقد يتأذى من ذلك بشكل آخر بانهيار عصبي يودي بحياة البلاد وبالحراس قاطبة.

اقتنع الحارس خاشيا على نفسه، فطلب رئيسه الذي أطال وأسال الغزير من الكلام دون اقتناع منه، فلم تؤت حيلة رنيم أكلها مع رئيس الحراس مثلما كان الحال مع الحارس. فقالت له:

ـ أتعلم أن إعدام هذه الزهرة هو إعدام لك؟

قال:

ـ كيف؟

أجابته بثقة:

ـ زهرة رنيم لا تزهر سوى في بيت أهل صدق.

فقال رئيس الحراس دون مبالاة:

ـ وقد كان هذا سبب إعدامها، فلتتحمل ثمن صدقها وأمانتها.

شعرت رنيم أن رئيس الحراس لا يرحب بالصدق والخير:

ـ زهرة رنيم تملأ رئتيها بذرات الحب، ليس ذنبها أنها خلقت على هذه الشاكلة.

عام في صمته مترقبا ما ستجود به قريحتها:

ـ تماما كما هي والدتك..

شرّع عيناه مستغربا دون أن يفتح فمه بكلمة.

. لا يمكنك أن تمنعها من حبك، أن تمنعها من الحنو عليك وبذل ما بوسعها لتكون أنت أحن قلب وأعدل إنسان، يتريث قبل القضاء لئلا يظلم فيُظلم وتُظلم معه والدته، كل منا مرتبط بأمه وأبيه إن أذى أحدا تدحرج الأذى إليهما رغما عنه، إنها نواميس الحياة ولا يعقلها سوى من أذن له الخالق.

الآن وقد فتح لهم رئيس الحراس الطريق دخلوا إلى الحاجب الذي إن لم يقتنع بحجة رنيم فلن تتمكن هي ووالدها من رؤية الحاكم، بل قد يماطل أكثر.

عندما توجهت رنيم رفقة أبيها إلى قصر إقامة الحاكم لم يكن في حوزتهما سوى ثلاثة أيام قبل موت الزهرة، وإن كانت الزهرة قد تعرضت إلى الشمس بخروجها من غرفة رنيم بيد أنها في إناء صغير للأزهار.

ـ سيدي أرجو أن تطلب من الحاجب التعجيل برؤيتنا، فالزهرة لا تحيا إلا في الأرض. الإناء يخنقها رويدا رويدا.
أشارت رنيم إلى الزهرة، بينما بدا الحارس المرافق لهما غير عابئ بهما، تركهما في غرفة الانتظار ومضى.
ـ أبي يكاد النهار أن يتغطى ونحن ما نزال عند وصيد مكتب الحاجب فحسب.
ـ اصبري، جيد أننا تجاوزنا عتبة رئيس الحراس بسلام.
تململت رنيم ثم حدّثت الزهرة:
ـ أيتها الزهرة الرفيقة الصادقة اغفري لي ضعفي، ها أنت ترين ما يحدث، قد نصل إلى الحاكم اليوم وقد يتم تأجيل زيارتنا.
حينئذ دخل الحارس ليخبرهما عن انشغال الحاجب وأن لا موعد لهما اليوم فليعودا غدا.

غـادر عـلاء مسـتاء، بعـد أن تفـاءل بإقنـاع رنـيم لـرئيس الحراس رغم قسوته لكن الحاجب خيّبهما:

. لا بأس سنزوره باكرا. هيا بنا يا ابنتي.

التف ثلاثة حراس من حول رنيم وعلاء عند عتبة باب القصر طالبين الزهرة لإعدامها فذعرت رنيم وكذا علاء:

. ماذا؟ وكيف لنا بلقاء الحاكم غدا؟ إنها آخر زهرة متبقية.

. الأوامر تلزمنا أن نعدم كل زهرة من هذا النوع.

وقعت رنيم في مطب لم يكن في الحسبان:

. إن غادرتما فارقتما الزهرة لنعدمها.

احتـار عـلاء في كيفيـة التصـرف فقـررا المبيـت في غرفـة الانتظار.

. هذا مخالف للقوانين.

تذكر علاء أحد قوانين القصر، فراح يقترح أن ينتظر هو ورنيم في فسحة الحديقة إلى أن يقرر جنود القصر في أمرهما.

رفض الحراس مقررين مبيتهم في السجن، خشي علاء أنه إن دخلا السجن فقد لا يخرجان أبدا، خاصة وأن الزهرة لم يتبق لها سوى ثلاثة أيام.

ترجته رنيم أن يتركا في الحديقة:

ـ ألم يكن أمر الحاكم إعدام كل زهرة في كل حديقة؟ وما عليكم سوى الامتثال، فلا ضير من التوجه إلى الحديقة لإعدامها هناك.

فعلق علاء:

ـ أنت العالمة بجل أسرار هذه الزهرة؛ أتعنين أنها لا تعدم دون إنبات آخر سوى إن كانت في حديقة؟

ـ أبي لا تثرثر كثيرا أرجوك.

تناثرت نظرات الحراس فيما بينهم، إذ شعروا أن علاء فضح سرا من أسرار الزهرة.

من ثم تأتأت رنيم:

. أأأأ أبي من قال أنها لا تعدم سوى في الحدائق.

حكّ علاء رأسه بطرف إصبعه:

. أه هـ لا أعلم...

من ثم استدار للحراس:

. سيدي دعنا من الحديقة يا له من تفكير سخيف. "لأن الزهور لا تعدم إلا في الحدائق وإلا نبتت مجددا لذا لا تلمنا إن نبتت سريعا.." من أين أتت هذه الأقوال الخاوية.

قالت رنيم:

. إضافة إلى أن الحاكم سيعلم بالأمر فتُحاسبون عليه، لذا دعونا من الحديقة.

قال علاء:

. أتعلم أيها الحارس.. أحد الفلاحين الألمان اكتشف سنة 1939م أن دودة الأرض تقوم بحمل اللقاح، أثناء تجوالها في باطن الأرض من زهرة إلى أخرى، لذا ما أحسبنا سوى مخالفين فعلا لقوانين الحاكم إن دنونا من تراب الحديقة.

شكّك الحارس في رواية علاء، رواية كانت صحيحة سبق وأن ذكرت في كتاب عن رنيم صاحبة زهرة رنيم وجدتها فاطمة، فقد تهافت الكتاب يسردون سيرا ذاتية عن هاتين الشخصيتين، وجل ما ذكر منهما في تلك الحقبة الغائرة، ما تعلمته رنيم من كتب جدتها فاطمة قصته على العديد من زوار حي أولاد يعيش آنذاك، ممن أراد التعرف على زهرتها عن قرب والتقاط الصور معها، وإن لم تكن تظهر في الصورة يرسمها فنانون تشكيليون. ما أرحب غنائم هؤلاء، لم يكن للزهرة ظل ولذلك لن تظهر في الصور الفوتوغرافية، السبيل الوحيد لالتقاط صورة معها هو

الرسم. بل حتى هذا الحاكم الجائر رافقه رسام من بلده إلى هناك ليرسمه رفقتها، رسومات عديدة احتفظ بها في قصره، تحضّر ليكون لرسوماته متحف يقام على قارعة الطريق المؤدي إلى الحديقة التي تغرس فيها الزهرة. الآن بموت الزهرة وقرار الإعدام أخفى تلك الرسومات في غرفته لئلا يتذكرها أحد.

وليزيد الطين بلة والموقف غرابة أحاط نفسه بأفراد من مجلس الشورى واقترح عليهم أن يكون يوم إصداره لهذا القرار هو يوم للاحتفال.

استهجن الجميع قول حاكمهم واحتاروا في تسمية ذلك اليوم، من ثم تضاعفت حيرتهم في أي خانة يصنف اليوم.. يوم الفوز أو يوم الهزيمة، بالطبع لم يكن يجرؤ أي منهم على البوح بما يثرثرون به في غياب الحاكم، يوم حزين أم سعيد، ليتم تأجيل كل تلك التفاصيل إلى أن تتم لملمة كل ما

يخص هذا القانون الجديد، الذي عدّ موسما سنويا تقام له الاحتفالات والمراسيم.

لاحقا قرر رئيس المجلس أن الحاكم اعتاد إطلاق القوانين والقرارات في فورة الغضب أو نشوة الفرح، لذا ليس جديدا عليهم أن يتناسوا الأمر إلى أن ينساه وينشغل بغيره.

هل فعلا كان ذلك اليوم سيعد يوم فرح؟ ما أحسبه سوى يوم بؤس، يوم تقتل زهرة رنيم.

وافق الحراس على أن ينتظرا في الحديقة إلى حين قدوم رئيس الحراس ليطلق قرار إعدام الزهرة.

لم تكن رنيم تعلم شيئا عن قوانين القصر، إلا أنها كانت تثق بوالدها وبحكمته من خلال كل ما عاشته معه، شعرت أن لدى علاء خطة ما يريد تطبيقها فدعمته. وبمجرد دخول علاء ورنيم إلى الحديقة:

. هل ستترك الحديقة دون حراسة؟

عاين الحارس وجهيهما ثم عاود الخروج.

وقف الحارس عند باب الحديقة بينما مسامعه تلتقط كلام رنيم الموجه إليه:

ـ سنقف دنيا من شرفة غرفة مكتب الحاكم، كي يشاهد كيف أنكم نفذتم أمره بحذافيره وكيف أنكم أعدمتم آخر زهرة، فيطمئن ويرضى عنكم بل قد يكافئكم.

سارع علاء بغرس الزهرة في الحديقة على مقربة من شرفة مكتب الحاكم، ونام رفقة رنيم بمحاذاتها إلى أن حضر رئيس الحراس وجنوده، فاستغربا المنظر، فقد نامت رنيم قريرة العين وهي تحيط بذراعها الزهرة أما من الناحية الأخرى كان علاء يحيطها بذراعه هو أيضا، هكذا ضمنا عدم موت الزهرة، كأنما الزهرة كانت قد غرست في حديقة بيتهم وهذا ما كان يجهله الحراس ورئيسهم. أجبروهما على

الاستيقاظ فكانا يكتفيان بفتح العيون فحسب إلى أن بزغ الفجر وتبادل الحراس المناوبة.

من قوانين القصر أن ما غُرس في الحديقة أو ما هو داخل القصر يعد من ممتلكاته، لذا لم يكن بإمكان الحراس إعدام الزهرة. إضافة إلى أن إحاطة أذرع رنيم وعلاء بها كانا كحاجبين يمنعان عنها الطاقة السلبية التي قد تميتها، لذا لم يتجرّأ الحراس على إعدامها ولا تناءى علاء ورنيم عنها.

في الصباح الباكر وقف الحاكم في شرفة مكتبه فلمحها، دوّى بصوته:

. زهرة رنيم؟ ألم تكن قد ماتت؟

فعجّل إليه الحاجب الذي كان برفقته في المكتب:

ـ بلى يا سيدي. أعدمنا وجودها في كل المعمورة، نُفذ قرارك وافيا وفي حينه كما هي عادتنا في طاعتك.

دنا الحاكم من الحديقة في شرفته:

. إذن ما هذا الذي أراه؟

حينها التحق به الحاجب إلى الشرفة؛ وجحظت عيناه:

. يا الهي من الذي غرسها هنا؟.

أردف:

. لا تقلق يا مولاي، سأنزل أشد العذاب بالفاعل.

هرول الحاجب خارج الشرفة وحين يمّم قرب باب المكتب علا صوت الحاكم:

. بل دعها.

استوقف أمر الحاكم الحاجب:

. عفوا يا مولاي؟

كرر الحاكم أمره على مسامعه بنبرة أخف:

. قلت دعها.

عاد الحاجب أدراجه:

ـ إنها الزهرة اللعنة يا مولاي، وقد أصدرت أمرا بإعدامها من كل المعمورة.

استمر وقوف الحاكم صوب الحديقة:

ـ نعم لأنها نبذتني وماتت في حديقة قصري، أما ما أراه فهو إزهارها الذي لم يكن من قبل.

التحق الحاجب بالشرفة مجددا عندما شعر بانجذاب الحاكم للمشهد:

ـ مولاي.. من حولها شاب وطفلة قد يشكلان عليك خطرا.

همّ الحاجب بالمغادرة مستأنفا:

ـ سألتحق بالحديقة قبل أن يعود إليك طرفك وأنزل بهما أشد العقاب وبمن سمح لهما بالولوج دون إذن منك.

ردّ الحاكم في هدوء العارف والواثق بما يقول:

ـ بل ائتني بهما.

ارتعد الحاجب:

. مولاي.

تبعثر غضب الحاكم ونفذ صبره:

. هيا اغرب عن وجهي، أريدهما اللحظة هنا.. توآ.

عجّل الحاجب إلى الحديقة وهو يصرخ في طريقه:

. أين رئيس الحراس؟

. نائم يا سيدي.

علق بغضب:

. بهكذا ساعة؟

. لقد حدث أمر غريب ليلة البارحة جعله لا يبرح القصر سوى منذ سويعات يا سيدي.

. وما ذاك؟

كان الحاجب حينها ما يزال مطلقا الهواء لقدميه وقد يمّم صوب الحديقة، مستفهما من قائد الحراس الذي ينوب عن رئيسه النائم:

ـ طفلة رفقة والدها اقتحمت علينا القصر مساء البارحة، فأطالت إلى أن أقنعت رئيس الحراس ملتمسة مقابلة الحاكم، عقب اقتناع الرئيس أعلمها أنها لن تتمكن من الوصول إلى الحاكم إلا بعد أن تسمح لها أنت يا سيدي بذلك.

لم يكن ما يرويه الحارس ذا بال بالنسبة إلى الحاجب المنشغل بالمشهد الذي ما يزال الحاكم يراقبه من شرفته:

ـ ثم؟

تردد الحارس في إجابته لكن استدارة الحاجب اتجاهه وهو يسرع الخطى جعله يتم حديثه بنبرة المتوجس خيفة مما قد يلقاه منه:

ـ ثم أنت يا سيدي أجلت موعدها فطلب منها الرئيس المغادرة.

حينئذ كان الحاجب يواجه مدخل الحديقة حيث يقف عند بابها حارسان:

. ماذا تفعلان هنا؟

شدّ كلّ منهما ظهره وأبرز صدره:

. نطوق باب الحديقة لئلاّ تهرب الطفلة ووالدها يا سيدي.

. ومن أذن لكما بالسماح لهما بدخول الحديقة؟

حينئذ كان الخبر قد بلغ مسامع رئيس الحراس الذي التحق بالحاجب لاهثا:

. صباح الخير يا سيدي.

تضاعفت حمرة العينين لدى الحاجب كجمرتين وهو يستدير للنظر في وجه رئيس الحراس:

ـ أين هو هذا الخير يا رئيس الحراس؟ لقد تمّ فصلك وتجريدك من مهامك، ستحول إلى مجلس القضاء.

ـ أرجو المعذرة يا سيدي.. دعني أوضح لك ما حدث مساء البارحة..

قاطعه الحاجب:

. ليس الآن فالحاكم يطلب رؤية الغريبين توّا.

وهو يهم بالدخول إلى الحديقة دوّى في وجهه:

. هيا اغرب عن وجهي لقد ضيّقت رزقي.

دخل الحاجب إلى الحديقة حيث يتمدد علاء بذراعه من حول الزهرة وكذا رنيم. وقف ناهرا لهما:

. هيا انهضا.

من ثم تذكر الحاكم الذي يراقبه من الشرفة، فأصدر الأمر لقائد الحراس كي يوقظهما ففعل،

بمجرد أن فتحا عيونهما دوى بصوته وقد سبقهما:

. هيا اتبعاني.. عجّلا.

اللحظة الفاصلة أزفت، لا أحد من الموجودين في القصر يعلم ما سيؤول إليه الوضع، ما سيكون عليه حال رنيم ووالدها.

لم يساور رنيم شك من أن اقتراح والدها هو الصواب وإن دفع بهما الحاجب خارج الحديقة بمجرد أن بلغا الباب، إلا أنها لم تندم لأنها تبعت خطى علاء، فالسجن في كل الحالات هو مآلهما. تلك المخاطرة كانت متوقعة، فما تعنيه هذه الزهرة الأعجوبة لرنيم ووالدها يستحق أن يخوضا هذه المعركة الغامضة النتائج.

كل من كان في القصر يعلم يقينا أنه سيزج بهما في السجن لسنوات بل ربما قد يعدما، فسجون هذا الحاكم تحديدا لم تعج بالعديد لقساوة قراراته، فالمقصلة كانت هي الفيصل في كل قرار يناقش أو يخالف من طرف مواطن ما.

. مولاي لقد أحضرت المتّهمان من الحديقة، هل أدخلهما؟

تعمّد الحاجب تسمية رنيم وعلاء بالمتهمين ليوحي للحاكم بأنهما الملامان على غرس الزهرة وعلى اقتحام الحديقة ليحاسبا على هذا الجرم. لعله بذلك يبرئ ذمته، فلا يتهم بالتقصير، خاصة وأن الحاكم غالبا ما كان يرمي بكل شيء عليه.

أشار الحاكم بيده فصرخ الحاجب:

. هيا ادخلا، عجّلا.

دخلت رنيم وقد مشى بمحاذاتها علاء. نظر الحاكم إليهما دون غضب ودون رضا، فلم تتضح له الصورة بعد. قال الحاجب وقد قارب الحاكم:

. ها هما المتهمان يمثلان أمامك يا سيدي.

فحص الحاكم وجه كل واحد منهما ليقول عقبه:

. من غرس الزهرة في حديقتي؟

أجابه علاء في هدوء تام:

ـ ألقي السلام على مولاي الحاكم وأطلب عفوه وصفحه، فهذا أنا علاء شاب متزوج ينعم بحياته رفقة زوجته وابنته الوحيدة رنيم.

أسرع الحاجب بالإقبال على الحاكم مضطرب الجسم:

ـ أهاااا رنيم.. ها قد تضاعفت تهمه يا مولاي وانطلقت اعترافاته.

لم يلق علاء بالا لما يقوله الحاجب بل استمر متحدثا برزانة وسكينة:

ـ مولاي الحاكم.. لم نرتكب جرما بحق أحد وليست لدينا أية تهم أنا وابنتي.

كان الحاجب قد تنحى إلى جانب الحاكم ليعاود مجاورته مشيرا بيده إلى علاء:

ـ أهاااا.. ها هو ينكر يا مولاي.

فاستدار الحاكم سائلا الحاجب:

. ما هي تهمتهما؟

ارتعد الحاجب من سؤال الحاكم:

. أهاااا؟

فزع الحاجب من سؤال الحاكم غير المتوقع مما جعله يتلعثم ويتريث قبل أن يجيب:

ـ بتهمة اقتحام الحديقة، وتهمة غرس الزهرة المحرمة، هاتان التهمتان البارزتان إلى حين يا مولاي، فسأجري بحثا دقيقا قبل تحويلهما إلى القضاء..

ناهز الحاجب أذن الحاكم موشوشا:

ـ إن أذنت لي يا مولاي سأزج بهما في السجن إلى أن أتقصى عن كل جريرة ارتكباها ويرفضان الاعتراف بها؛ كما هي عادتي مع كل معتد، من ثم يفصل بحقهما القضاء.

كان صوت الحاكم أعلى:

. ليس بعد، أود معرفة قصة الزهرة التي غُرست في حديقتي.

قال الحاكم ذلك موجها قوله للأسيرين، وأضاف:

. هل غُرست ليلة البارحة؟

أجابته رنيم دون أن تبرح مكانها:

. أجل يا مولاي.

فتحولت عينا الحاكم إلى رنيم تحديدا:

.كيف أنها إلى الآن حية؟

امتدت ثقة رنيم وهي تلاحظ تجاوب الحاكم:

. أحطناها أنا وأبي طوال الليل بأذرعنا؟

علا استفهام من الحاكم:

. أي؟

ابتسمت رنيم وهي تدنو بخطوة واحدة فحسب:

. بطاقتنا.

. كيف؟

فشرّعت رنيم ساعديها، توريه الكيفية:

. حجبنا عنها طاقة قاطني القصر بذراع كل واحد منا.

بدا الانزعاج على ملامح الحاكم وفي نبرة صوته:

. أتعنين أن قاطني القصر ليسو أهل صدق؟

استمر هدوء رنيم لئلا تثير الريبة لدى الحاكم:

. ليس جلهم يا مولاي لكن ثلة منهم، فزهرة رنيم...

فقاطعها الحاجب حانقا:

. كيف تجرئين على التطاول على مولاي وأهل بيته؟

زجره الحاكم:

. لا تتدخل إلى أن آذن لك.

استدار الحاجب اتجاه حاكمه دون أن يبتعد عن رنيم:

. عذرا منك يا مولاي.. لكن المتهمان تجاوزا حدود اللباقة والأدب، دعني أتكفل بهما وآتيك بخبر غرس هذه الزهرة الملعونة.

غضبت رنيم منه فقالت في هدوء، كان الحاجب يجاورها كمن يود إخافتها، تعمدت رنيم المحافظة على هدوئها لإضعاف حجة الحاجب وبث الأمان في نفس علاء والتروي في نفس الحاكم:

. ليست ملعونة بل صادقة، لكل زهرة حساسية من شيء ما، زهرة رنيم لديها حساسية من الغش والنفاق والكذب والتدليس وكل صفة تقف تحت مظلة الشر.

تزلّف الحاكم إليها:

.كيف لي بمعرفة الثلة التي تدنس هواء القصر فتقتلها؟

. بالتجربة يا مولاي.

.كيف؟

ـ لا تولج قصرك سوى من تعايشت معه الزهرة لأزيد من ليلة واحدة دون أن تذبل وتفارق الحياة.

تملّك الفزع قلب الحاجب، انتفخت وجنتاه، لم يكن يجرؤ على مقاطعة حاكمه ليقطع عليهما طريق إقناع الحاكم بما فعلاه هي ووالدها:

ـ زيديني.

ـ ابنِ بيتا في الحديقة؛ أسكن فيه كل ليلة أحدا ممن يقطنون قصرك.

شدّ اهتمام الحاكم كلام رنيم، أدهشته بفطنتها بغض النظر عن جرأتها:

ـ أتعنين أن أجعل منها مخبرا؟

فقاطعهما الحاجب مجددا:

ـ ما هذا الهراء.. مولاي.. ائذن لي في التصرف معهما، إنهما محتالان.

كان علاء يخشى أن يبدو صبيا أمام من دأب على الخبث في ذات اللحظة التي قرر رفقة ابنته اقتحام القصر على الحاكم، فمن حول كل حاكم بطانة تغير لونه كما تشاء.

تجلّد علاء معلقا، ذلك لأنه كان خائفا بادئا، بيد أن شجاعة رنيم مدّته بالجرأة:

ـ وما الذي يرعبك؟ ماذا لو طبّق ذلك مع من هو أعلى رتبة في القصر، من سيكون يا ترى؟

ـ أه هـ هـ

تراقصت مقلتا الحاجب وقد ارتعدت أوصاله، لأنه كان الأعلى رتبة في القصر فخشي على نفسه:

ـ مولاي إنهما ساحران وإن...

قاطعه الحاكم بعد أن راقب المشهد:

ـ ما الذي يجعلني أصدقكما؟

سارعت رنيم:

ـ الزهرة يا مولاي، فلم تبت ليلة واحدة في قصرك سلفا ولكن ليلة البارحة عندما أحطناها بأذرعنا أزهرت.

أضاف علاء:

ـ إنها دليل الصدق يا مولاي، لا نتمنى أن تحرم منها وقد وُلدت لأول مرة في عالمك، فأنت أكثر من يستحق الفوز بها والاستفادة منها أوفر من كل زائر أتاها من كل بقاع الأرض.

زادته رنيم، كان ملفتا للانتباه أن الحاكم شرع يلين رويدا، ليس بتغير ملامحه ونبرة صوته فحسب، بل لأنه لم يعد يستجيب لإثارة الحاجب وتدخلاته العبثية:

ـ أنا اعتدت أن أعتبرها مذكِّرا لي ومقياسا.

استغرب الحاكم:

ـ كيف؟

فأجابته بحبور:

ـ كلما أخطأت ولاحظت بداية ذبولها عجّلت بتصحيح أخطائي، وكلما سولت لي نفسي ارتكاب ما يحمى تحت مظلة الشر بدا لي ذلك عليها فأتوانى وأرجع عن فعلي ولو كان مجرد تخمين.

ـ أممم

همهم الحاكم وهو يذرع مكتبه روحة وجيئة، إلى أن قاطعه الحاجب:

ـ مولاي إنها من الخرافات، زهرة ملعونة يدعمها متهمان خطيران، أرجوك يا مولاي ثق بي.

طال نظر الجميع إلى ظهر الحاكم إلى أن استدار:

ـ دعهما يغادران رفقة زهرتهما، لتغرس في حديقتهما، فلا حاجة لي بهما الآن.

ذعر الحاجب:

ـ مولاي.. لكنهما خطيران، قد يلحقا بأحد الأذى.

فنهره الحاكم مزمجرا بصوته:

ـ قلت أفسح لهما الطريق، سأرى في أمرهما لاحقا، هيا فليخرج كافتكم.

قرار غريب من الحاكم، وغير متوقع لأي منهم؛ لا لرنيم وعلاء ولا طبعا للحاجب.

هل تراه عدل عن فكرة إعدام زهرة رنيم؟ أم أنه سمح بها لهما فحسب؟ أم أنه يُبيّت لهما نية ما؟

ـ لقد أفلتهما لأنهما جعلا الزهرة تزهر في قصره.

ـ هذا الذي لم يحدث من قبل.

ـ لقد استرجع هيبته أمام العالم وباقي حكام الثلاثة أرباع الأخرى.

هذا ما تفوه به أعضاء المجلس والحاجب.

بينما اعتنق علاء ورنيم حياتهما التي كانت حياة هنيئة وكفى، فلم يشغلا بالهما بما يعنيه الحاكم من ردة الفعل تلك.

كان الحاكم حكيما بما يكفي ليكون على يقين من أن تنظيف قصره من الخونة والسُراق، ومن الأفاقين المحيطين به ضرب من الخيال، بل وتهديد لحكمه، لذا فإن إبقاءهم دون لفت الانتباه إليهم هو الأسلم، فما يهم أي حاكم سوى الاستمرار في حكمه ولو لم تزهر زهرة رنيم في قصره. لن يقيم متحفا على قارعة طريق حديقة قصره يتوافد عليه حكام العالم وشخصياته البالغة الأهمية ليمتدحوا المؤسس له وليشيدوا به.

كما سيشاع عنه أنه من العافين عن الرعية عند المقدرة، بهذا الوثوق في أنه ليس من أمات الزهرة في حديقته سلفا،

بل هو من لفتت انتباهه إليه رنيم؛ مجهول من أحد العاملين في القصر.

تميزت حديقة علاء بزهرة رنيم التي لم يكن مسموحا بغرسها سوى في حديقته أو حديقة رنيم مستقبلا إن كان لها بيت خاص.

الزهرة الصادقة جلبت لعلاء السياح بعدد هائل؛ عدد جعل من بيته متحفا يزار كل يوم. كان بإمكان علاء ورنيم استغلال ذلك وجني ثروة مهولة لو أنهما مثلا جعلا لكل زائر تذكرة يدفع ثمنها، لكنهما رفضا ذلك كلما اقترحه عليهما شخص ما ليقينهما بأن الصدق والأمانة وكل ما يُجمع تحت مظلة الخير لا يباع، فزهرة رنيم جعلت كل إنسان يتمنى لو أنها أزهرت في حديقة بيته وإن لم يكن صادقا وهذا كاف جدا لهما. أما عفو الحاكم فقد أوصد باب التفتيش والمطاردة، لم يعد أحد يسعى لأخذ عينة من

هذه الزهرة لغرسها في بيته، شعر الجميع أن رنيم وعلاء فقط من كانت لهما الأحقية لإبقائها في حديقتهما بعد تلك المخاطرة التي جازفا بحياتهما فيها، بيد أن علاء قبل التحاقه بالقصر كان قد غرس عددا منها خارج المدينة في بيت بلاستيكي، غافلا عنه الآن وقد انشغل ببيته وما جلبته الزهرة له. أزهار إن عثر عليها أحدهم وُزّعت عبر العالم لتُكرر رنيم وعلاء آخرين في بلد آخر.

أطال قاطبتهم القول:

ـ الحاكم يبيت لنية ما، لذا أمهل علاء ورنيم فسحة من الزمن، لئلا يلفت الأنظار من بقية ثلاثة أرباع العالم.

تلك النية التي لم تبرز إلى السطح حتى اليوم وقد أفلتت عشر سنوات.

جوان/جويلية 2018 /البليدة

عن زهرة رنيم تقول الدكتورة أمال كبير من جامعة تبسة/ الجزائر:

الرواية جميلة جدا تفاصيلها متدرجة ومقنعة

يمكننا القول بأنها رواية للناشئة من خلال تتبع القصة والبطلة الرئيسة فيها لكن الموضوع الذي تلمح إليه القصة أو تعالجه يرتفع فيه الوعي ليحولها إلى قصة أكبر من اهتمام الناشئة فهي رواية تصلح للكبار أيضا وهذه ميزتها.. هذه الرواية تحرك الفكر إلى ما هو أبعد من الظاهر لتطرق سيمياء الخبر عند عتبات الزهرة المتفردة من نوعها، فما الذي يمكنه أن يثمر وسط الصدق والأمانة ولا غيرهما؟ هل هو الكرامة أم الحرية أم هل هو الإنسان نفسه؟

هل زهرة رنيم هي ذلك المواطن الذي لا يعيش إلا في موطن صدق ولا يزهر فكره وعقله إلا فوق تراب الأمانة والعدالة؟

إنها رواية جميلة بكل المقاييس؛ بلغتها المتناسقة مع المعنى وبابتكاراتها المشهدية التي تجعل التسلسل منطقيا ومقبولا ومعقولا.

لم تقدم الرواية نهاية واضحة، إلا أنها جعلت احتمال الحياة بشروط البقاء الراقية والضرورية واردا.. يمكن انتشاره ويمكن العثور على طريقة لاستمراره وإن كان ذلك بمحض الصدفة .لكن المهم في كل هذا هو أن الإيحاء بضرورة مراعاة القيم والاجتهاد لإبقاء الضمير الإنساني ماثلا أمام أي سلطة أو سطوة في الحياة هو الهدف الذي تقف عليه أبعاد القصة التربوية والفكرية.

يمكننا أيضا أن ندرج هذه الرواية ضمن ما يعرف بالتعليم عن طريق القصة أو بالتثقيف عن طريق الكتابة، فالكاتبة عرفت كيف تجعل الحافز منوطا بالإنسان بغض النظر عن مكانته أو عن سنه، فالإنسان بالنسبة إليها هو تلك القيمة الفكرية والمعنوية التي تتسع في فضاء الحياة وتتوسع بوعي وقوة لتنشر مبادئها واحترامها لإنسانيتها. وهذا ما يجعل رواية بيران ضرورة لتنشئة وعي قرائي لا يقف عن المتعة المستعجلة لكنه يثير الفضول للتغيير المرتقب في طبيعة الفكر الذي يتغلغل في النفس فيسمها بالرتابة أو الكسل أو الخضوع، إن المتعة هنا هي أن تقف لتفكر بعد أن تنهي القراءة: ماذا علي أن أفعل كي أحافظ على مبادئي، وأي المبادئ أجدر بالبقاء، أهي تلك التي تساير الزمن الهش وتركن إلى سفاسفه وتفاهاته؟ أم تلك التي تبني الإنسان الحق وتبني معه حياة فاضلة مستقيمة؟

إن المتعة الحق في هذه القصة هي أنك سوف تفكر مليا، وتقرر إن كان قد حان الوقت لتقف صارما من اجل تغيير محيطك، أم انك ستظل بعيدا عن سيرورة الحياة تترقب آخرا، أكثر وعيا وشجاعة كي يفعل؟.

هنيئا للصغار وللناشئة وللكبار بهذه الرواية الرمزية الفاعلة.

ISBN 978-9931-743-10-1